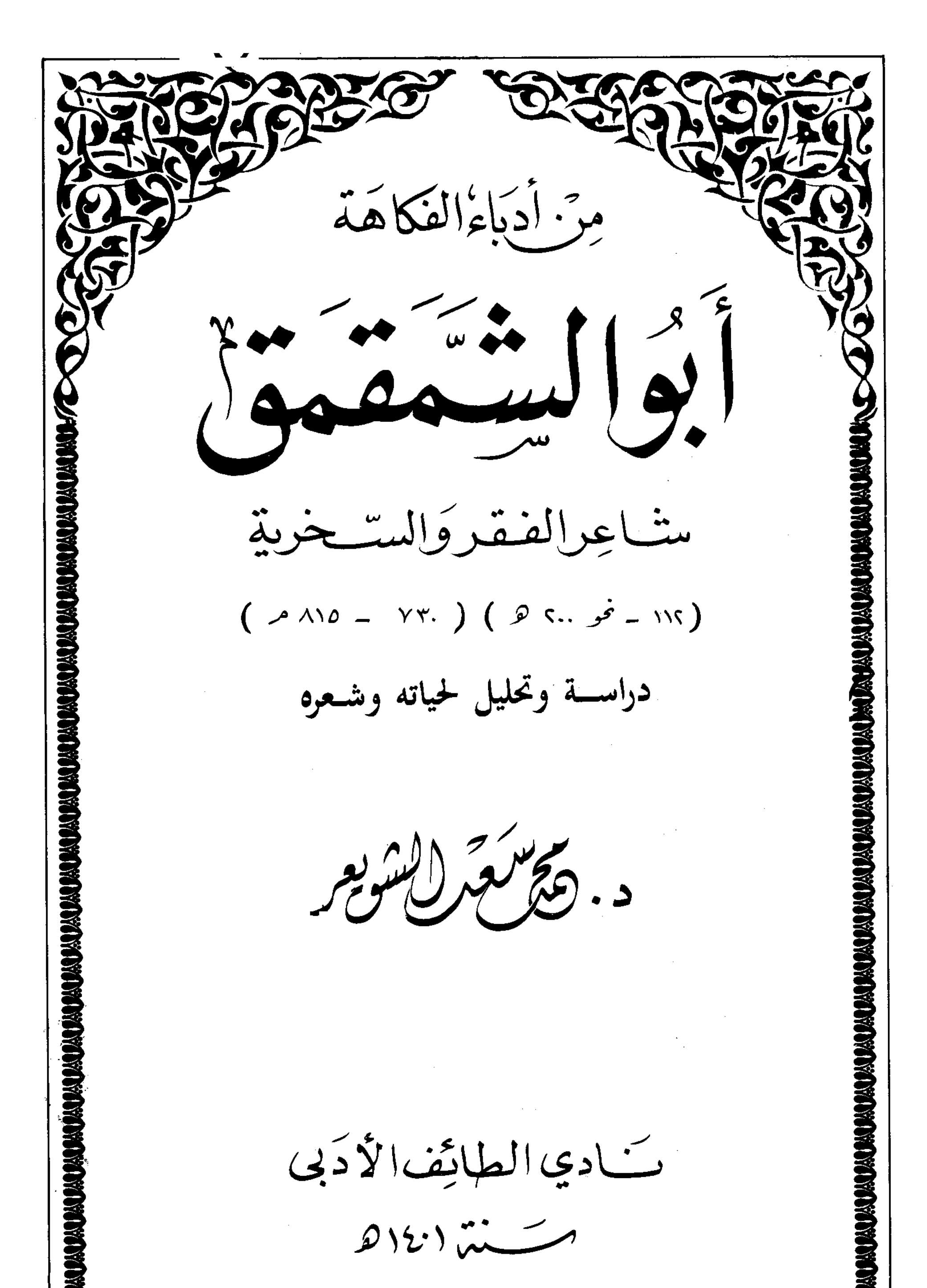


من أدباء الفكاهة

أبو الشمقمق

شاعر الفقر والسخرية

(١١٢ - نحو ٢٠٠ هـ) (٧٣٠ - ٨١٥ م)

دراسة وتحليل لحياته وشعره

د. محمد سعد الشويعر

نادي الطائف الأدبي

سنة ١٤٠١ هـ



مطبوعات نادي الطائف الأدبي

الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة : ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمـــد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه ، وبعد :

فقد تنوعت مشارب الأدب ، واتسعت مدارك الأدباء في العصر العباسي الأول ، تبعا لاتساع الثقافة ، وتنوع مصادر العلوم ، وكثرة راغبي المعرفة .

واستتبع ذلك رغبة أخرى من المتذوقين ، والمتتبعـــين .. فكان لرغبتهم جانب كبير من الاستجابة التي انغمس فيها الأدباء ، اذ حاولوا بجهودهم تغطية تلك الرغبة .. واستكمال ما حولهم من نقص .

وأبو الشمقمق واحد من أولئك الأدباء ، الذين عاشوا في هذا المجتمع ، وخـــبر خفاياه ، ونفسيات عليته .. فهو يبكي في أعماقه ليثير بسمة فوق الشفاه ، ويتألم من الواقع الاجتماعي بأسلوب ساخر ، ليحرك عواطف وأيدي ذوى السعة والجدة ..

حاولت في هذه العجالة أن أسبر بعضا من غوره ، وأحلل جـــزءا من حياته ، واسلط الضوء على شخصيته .. بعد أن كاد الزمن يعفي عليها ، وينساها القـــراء الا طبقة معينة منهم .

ولست أسمي هذادراسة متكاملة لحياة هذا الرجل ، ولا تفتيتا لزوايا نفسيته ، ولا مقارنة ادبية أو نقدية لجهوده .. بالمفهوم العام .. ذلك أنني لم أتناول شـــــعره بالدراسة والتمحيص ، ولا المقارنة والتحليل .

وانما الذي سيمر بنا هنا ، ما هو الا مقارنات خاطفة ، تشير الى النقاط البارزة عند هذا الشاعر .. وتعطي المؤشر الأخضر لمن يريد الغوص في اعمـــــاق نفسه ، ويستشف طباع مجتمعه ، ويعرف المؤثرات العاطفية في أبناء هذا المجتمع .

مؤملا أن يتطرق لذلك بعض أدبائنا .. ففي جهودهم البركة ، وفي أعمالهم كل ما نتطلع اليه ، والله الموفق .

المـــؤلف

الرياض في ١٣٩٩/١٢/١٠ هـ .

من أدباء الفكاهة : ــ

أبـــو الشـــمقمق

شاعر الفقـــر والسخرية
(١١٢ هـ ــ نحو ٢٠٠ هـ)
(٧٣٠ م ــ ٨١٥ م)

قسـم المؤلفون في آداب اللغـة العربية وعلومها العصر العبـاسي الى أدوار وعصور ، وجعل بعضهم لكل قرن تقريبا سمة خاصة ، وظاهرة تميزه عن غيره ، في نواح ينفرد بها ، وأشياء تبرزه عن غيره ، من حيث الاهتمام بالأدب ، ورواج سوقه ، وتنوع المعّارف فيه ، والأغراض التي طرقها الأدباء في فنونه المختلفة ، وبما أدخلوه في اللغة العربية من أفكار ومظاهر وأخيلة ، بعضها أفاد اللغة ووسع مداركها لاستيعاب ما جد ، وبعضها كان له تأثير معاكس في الأسلوب والألفاظ والأخيلة .

والقرن الأول في عمر الدولة العباسية (١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ) والذي ينتهي بوفاة الواثق (٢٠٠ ــ ٢٣٢ هـ) ومبايعة المتوكل (٢٠٦ ــ ٢٤٧ هـ) كان عصر ازدهار في اللغة والآداب ، مع كونه عصر حضارة وعلم .

ولعل هذا يعود للأسباب التالية : ــ

١ ــ قرب هذا العصر من عصر صدر الاسلام . والعصر الأموي ، حيث لا تزال مكانة اللغة العربية قوية في نفوس العرب ، ولم يبدأ الاعتماد على العناصر الأخـرى من فرس وأتراك ، وروم وموالي ، في مجـالات الدولة ذات الصـلة بالأدب واللغة ، والتأثير فيهما .

٢ ــ أن الدولة الأموية تعتبر امتدادا للعصر الاسلامي الأول في الآداب والعـلوم ، لعصبيتها العربية ، وقرب مكان القيادة من مواطن العرب الأصلية .

٣ ــ أن الخلفاء العباسيين الأوائل ، لهم اهتمام زائد بالأدب ، وبصر بالجيـد منه ، ونقد لمواضع الضعف فيه ، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم الأمويين .

بل كان منهم ومن قوادهم وولاتهم من يقرض الشـعر ، ويهتم بمجالس الأدب ، ونقد المفردات اللغوية ، واستيعاب معانيها : بصرا ودراية ، واستعابة على من يستعمل الدخيل من المفردات .

٤ — كان أول هذا الدور ، عهد تأسيس وتثبيت لدعائم الدولة ، وتوسيع لرقعتها ، واخماد لأعدائها ، وقضاء على الفتن الداخلية والخارجية .

اذ هناك أعداء طامعون ، ومتربصون متحينون ، وحاقدون ناقمون ، ولقوة الجانب العسكري والسياسي في هذا الدور ، فقد كان تأثير العنصر الأعجمي والفئات التي لا تنتمي لأصل عربي ، يرجع في الغالب الى اللغة وآدابها ، لاعتقادهم أن اللغة والدين في الاسلام توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، كما أنهم لن يصلوا الى مآربهم السياسية الا من هذا الجانب ، فكان الشعوبيون — وهذا من الاصطلاحات الحديثة التي أطلقت عليهم — يحاولون اثبات مكانتهم ، والنفاذ الى المجتمع العربي والاسلامي ، مع ما هم عليه باطنيا في المعتقد والعصبية ، من هذا الباب .

كان يظهر في اشعار أولئك الشعوبيين فلتات كثيرة ، توصف أحيانا بالزندقة والالحاد والمروق من الدين ، وطورا بالخروج على القيم والأخلاق ، ومرارا بالتكشف في الغزل والمجون ، والابتذال فيهما ، أو الغزل بالمذكر ، ووصف مجالس الخمر والدعوة اليها ، مع ما في ذلك من اسفاف ونكران للقيم ، ومجانبة لتعاليم الاسلام ، وخروج عن قيمه وآدابه ..

ونشأ مع هذا وذاك حاجة الى السخرية ، والحاح في طلب الملحة والفكاهة ، ورغبة في التندر والمؤانسة ..

وهذه الرغبة ناتجة في نظري من أمور : —

١ — الترف الاجتماعي والوفرة المالية .

٢ — البطالة ، ثم الرغبة في اشغال الناس والهائهم .

٣ — كثرة مجالس الشراب ، والحاجة الى الندماء في المجالس والأمسيات .

٤ — التظرف ، والتكسب بهذه الصنعة ، كمصدر من مصادر المعيشة ، ووسيلة لابتزاز المال والحصول عليه .

٥ — الاستفادة من آداب الفرس والهنود والرومان في هذا النوع من الأدب ، وترجمة بعض علومهم ، ثم محاكاة هذه العلوم بتأليف نوع جديد من الأدب ، يجمع بين المتعة والظرافة .

٦ — ضعف الوازع الديني ، وعدم تغلغل تعاليم الاسلام في قلوب كثيرمن أبناء الأمم

المغلوبة ، والتي دخلت بلادهم تحت راية الاسلام ، حيث يخوض بعضهم في كلام هدفه اضحاك الآخرين وكسب رضاهم بامتاعهم ، ولا يتفكر في مفهومه أو علاقته بالدين والعقيدة ، أو ما اذا كان يمس الأخلاق ، ويستوجب التحفظ .

٧ — عدم الافصاح عن أشياء مكنونة سياسية وعقائدية وفكرية ، والتعبير عن ذلك بالرموز ، والاستتار خوفا من السلطة ، بالتظرف والمفاكهة .

ومن هنا نشأت فكرة التعبير عن كوامن النفس والتنفيس عن خفاياها بالسخرية والمفاكهة ، كأسلوب تقليدي لما ألفوه في تعبيراتهم في بلادهم — في الهند وبلاد الفرس والرومان — كما هي الحال في كليلة ودمنة .

وأبو الشمقمق من هذا النوع الذي كثر في العصر العباسي الأول ، حيث عاش في المعمعة ، وانغمس في هذا الخضم .. فهو من خلطاء بشار بن برد (٩٥ — ١٦٧ هـ) وأبي نواس (١٤٦ — ١٩٨ هـ) ، وأبي العتاهية (١٣٠ — ٢١١ هـ) ، وسلم الخاسر (... — ١٨٦ هـ) ومروان بن أبي حفصه (١٠٥ — ١٨٢ هـ) ، وله معهم مماحكات وحكايات ، ومساجلات ومنافرات ، روتها كتب الأدب .

كما كان لهم ولغيرهم ممن سار على منوالهم شطحات بالعقيدة ، ولمزات تنم عن استهتار بالقيم والأخلاق ، واساءة الى تعاليم الدين الاسلامي وآدابه ، وبذاءة في القول ، واسفاف في الكلمة .

هذه المدرسة التي برزت في هذا العصر ، وكثر روادها ، لم تكن جديدة في أصلها وجذورها ، بل كان العرب منذ جاهليتهم ، أصحاب نكتة ، وأرباب ظرافة ، يهتمون بالأحاديث المسلية في سمرهم ونواديهم ، وساروا على هذا الدرب حتى هذا العصر ، الذي جاء فيه أمثال هؤلاء ليتجاوزوا الحد ، وليفحشوا في القول .. مما دفع بعض الكتاب المهتمين بهذا الجانب ، الى جمعه ورصده ، فصدر جهدهم في أسفار تجمع بين الغث والسمين ، ينسب غثه دائما الى أرباب هذه المدرسة ، حيث اشتهروا بذلك في عالم الأدب .. على اعتبار أن الأدب يدخل تحت التعريف الشائع لديهم : « هو الأخذ من كل شيء بطرف » . ومنذ ذلك الحين جاء نوع جديد في الأدب العربي له سماته شعرا ونثرا ، وله طلابه من الولاة والخلفاء والعلماء ، وله حفاظه من الكتاب والظرفاء . هذا النوع هو الفكاهة وحب التندر .

وقد دفع هذا اللون المجتمع الاسلامي آنذاك ، الى الخوض في هذه الظاهرة ، ما بين مؤيد وناقد ، ومستحسن وكاره .

وقد بلغ الأمر الى التندر بأنواع من الأسئلة الملقاة على الفقهاء والعلماء ، أو نسبة لبعض الطرف والملح اليهم .

وقد تكون هذه الأسئلة جاءت بالفعل على السنة بعض المغفلين وقاصري الفهم ، او أنها موضوعة ومختلقة ، لاضحاك طبقة معينة من المجتمع .

ومهما يكن من امر ، فان ابن الجوزي ، رحمه الله (٥١٠ — ٥٩٧ هـ) قد أحب أن يزيل ما علق ببعض الأذهان ، فعبر عن ذلك بمساهمته في التأليف ، ومشاركته في هذا المجال ، بجمعه لأخبار الحمقى والمغفلين ، من كل فئة ، وعلى اختلاف طبقات المجتمع .. ثم بكتابه الآخر الأذكياء ..

وكأنه بذلك يبرهن على افساح المجال أمام النفس البشرية لتستمتع بالحلال ، ولترتاح من سأم الحياة وجديتها بالطرفه الصادقة ، والفكاهة البريئة . هذا النوع من الأسلوب الأدبي ، الذي عرف به أشخاص يسيرون فيه بين جد وهزل ، وفكاهة سانحة أو متكلفة .

بل لقد امتزجت أسماء بعض الظرفاء بهذا النوع ، واصبح الاسم نموذجا لهذا الضرب : فالشمقمق — أو أبو الشمقمق — على اختلاف في التسمية — ، وأبو دلامة من هذه الصورة « الكاريكاتورية » .

بل بقي اسماهما رمز الفكاهة والتندر على مر العصور ، واصبحت صفة لازمة لهما ، كما كانت صفة « جحا » عالميا ترمز لذلك .

ولعلنا في هذا الحديث نستطيع ان نلم بأخبار وطرائف ابى الشمقمق ، كما روتها كتب الأدب ، وتناقلها الرواة .

ثم لعل الفرصة تواتينا لاخراج نبذة مماثلة عن زملائه في هذا الجانب الأدبي ، وبالأخص ابى دلامة ..

فمن هو ابو الشمقمق .. وما اخباره وشعره .. ؟؟ !!

اســـمه ولقبـــه : ـــ

لم تنقل كتب الأدب واللغة عن هذا الرجل أو عن أسرته ، وتاريخ ولادته شيئا ينبيء عن اسمه ، وأسماء أجداده ، وكل ما وجدته معلومات مقتضبة تفيد بأن اسمه : مروان بن محمد ، وأنه من أهل البصرة ، وخراساني الأصل ، ومن موالي بني أمية .

وهذه الكلمات المجملة تعطي مؤشرا عن خمول اسمه ، وعدم علو قدره .. فلم يذكر عن أحد من أفراد أسرته : قبله أو بعده ، شيئا يشير الى نباهة ذكر ، أو مكانة مرموقة ، اجتماعية أو أدبية أو علمية ، حتى يمكن تسليط الضوء علي هــذه الأسرة وتدوين بعض تاريخها ، الا ما ذكره غوستاف فون غربناوم ، نقلا عن المستطرف : بأن أبا الشمقمق تولى مرة أحد أعمال الدولة ، شأنه في ذلك شأن شعراء عصره ، ويبدو أنه حمل الى الخليفة خراج مدينة سابور (١) .

ولن نحمل أبا الشمقمق فوق ما يحتمل ، فهو مولى ، وفي الغالب نرى المــوالي في عصره ممن يجوز عليهم البيع والشراء والعتق ، ولذا فان بدايتهم الاجتماعية تكون خاملة ، ما لم يكونوا من النابهين والأذكياء ، الذين يرفعهم ذكاؤهم الى أن يصبحوا من العلماء والعلية .

ذلك أن المجتمع الاسلامي يرفع من قدر النابه ، ويعلي مكانته ، ويحــله المكان اللائق به ، حسب نبوغه في العلم والأدب ، ووفق ما يهييء نفسه له .. في هـــذا المجتمع الذي ينصهر فيــه الجميع في عدالة ومساواة ، لا فرق بين سيد ومســود ، وشريف ووضيع ، بخلاف المجتمعات الأخرى التي تهتم بالطبقية ، وتصر على العصبية .

وأبو الشمقمق ممن أعلاه قدره ، وارتفعت منزلته في عالم الأدب بجهوده وموهبته الشعرية ، فقام على قدميه ، وعبر عن نفسه بنفسه ، وصاول المحن التي وقع فيهــا بعد أن أحاطت به . كما أن أبا الشمقمق لم يكن له اهتمام شخصي ، أو محبة في التفاخر بمحتده ، والتعالي بعشيرته ، كما يبين في شعر بشار بن برد ، وهو فارسي مثله ، عندما سئل عن أصله وقبيلته : ـــ

ونبئت قـــوما بهـــم جنــــة — يقـــولون من ذا وكنت العـــلم

ألا أيهـــا الســـائلي جاهـــدا — ليعـــــرفني أنا أنف الـــكرم

---

(١) انظر كتابه شعراء عباسيون ص ١٢٣ ، نقلا عن المستطرف ١ : ١٤٦ .

نمت في الــــكرام بني عامـــــر   فروعي وأصلي قريش العجم (١)

ولم يكن ممن يصل الى أبواب الخلفاء والولاة ، اذ لم نجد له ذكر في مجالسهم ، رغم أنه زار بغداد في عهد هارون الرشيد (١٤٩ ـــ ١٩٣ هـ) الخليفة العباسي ، الذي كان مجلسه يعمر بالأدباء والشعراء ، وينيلهم من عطاياه .

ويقول غوستاف بالقصة التي أوردها صاحب الأغاني ، بأن أبا الشمقمق قـــدم بغداد قبل ولاية الرشيد (٢) .

كما تدلنا أبياته الشعرية التي أوردها الجاحظ (١٦٣ ـــ ٢٥٥ هـ) في الحيوان ، أنه رحل للأهواز ، حيث يتوجد فيها الى البصرة (٣) .

ولعل هذا من سوء طالع أبي الشمقمق ، ونحاسة حظه ، أو لعدم لباقته ومقدرته على كسب المودة ، والحفاظ على علاقته بالآخرين ، والنفاذ الى قلوبهم ..

يدلنا على ذلك ما رواه الزركلي (١٣١٠ ـــ ١٣٩٦ هـ) في الأعلام بأن أبا الشمقمق هجا يحيى بن خالد البرمكي (١٢٠ ـــ ١٩٠ هـ) (٤) .

والبرامكة قد مدحهم المادحون ، واطالوا في ذلك ، لما بذلوه من عطـــايا فاقت الوصف ، ولعله فعل هذا بعد النكبة التي حلت بيحيى ليرضي بذلك الخلفاء والولاة من بني العباس ، لتكون له يد تقربه ، ودالة عليهم تدني منزلته .

ولا نستطيع أن نقول بأن أبا الشمقمق لا يجيد المديح ، أو يحسن تطريز الكلام ، ولا أنه يتعفف عن التكسب بشعره ، أو الاستجداء بقصائده .

فقد نفى ذلك هو عن نفسه ، حسبما روى ابن عبد ربه (... ـــ ٣٢٨ هـ) في العقد الفريد : بأنه مدح مروان بن أبي حفصه (١٠٥ ـــ ١٨٢ هـ) ، ثم قال له أبـــو الشمقمق : أنت شاعر وأنا شاعر ، وغايتنا كلنا السؤال (٥) .

ولكنني أعلل بعده عن الرشيد والبرامكة ومن قبلهما ، بأنه عائد لمكانته من بني أمية ، وصلته بمروان بن محمد (٧٢ ـــ ١٣٢ هـ) ، حيث وقف بجانبه حتى قتل ، وهذا من باب الوفاء والولاء .

---

(١) ديوان بشار ٤ : ١٧٨ .

(٢) انظر شعراء عباسيون لغوستاف ص ١٢١ ، وراجع الأغاني ١٠ : ٨٣ .

(٣) راجع الحيوان ٣ : ٥٣٦ ، ٣ : ١١٨ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٣ : ٥٣٦ .

(٤) ٨ : ٩٧ ، وراجع شعراء عباسيون لغوستاف ١٢٢ ـــ ١٢٣ حيث استعرض لمن ذكرهم في شعره .

(٥) ٢ ' ٢١٧ .

ومن هنا فان الحساسية السياسية ، ومخافته من الاتهام بما يؤثر على حياته من جانب ، خاصة وأن الدولة العباسية ، قد وقفت في باديء أمرها من الأمويين وأتباعهم موقفا يرعب الممالئين لبني أمية والموالين لهم ، في مثل تلك القصة التي أثارها سديف (... ـ ١٤٦ هـ) عندما حرك ضغينة أبي العباس السفاح (١٠٤ ـ ١٣٦ هـ) بقوله : ـ

لا يغرنك ما ترى من الرجال ... ان تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا (١)

أو قول شبل مولى بني هاشم الآخر الذي أثار السفاح (١٠٤ ـ ١٣٦ هـ) حتى قتل تسعين رجلا من بني أمية ، ضربا بالعمد حتى ماتوا ، ثم بسط عليهم الأنطاع ، فأكل الطعام عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا .. هذا الشعر المحرك منه قوله : ـ

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان ويأس

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل رقاة وغراس

ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحر المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الله ((م)) ... بدار الهوان والأتعاس (٢)

وغير هذا من المواقف التي أثارت الهلع في قلوب بني أمية ومن يشايعهم ، فاشتد خوفهم ، وتفرق شملهم ، وشتت جمعهم .

فكيف لا ينعكس هذا على أبي الشمقمق ، وهو مولاهم المخلص ، وسمي آخر خليفة منهم ، وهو الذي لا سند له يحميه ، ولا عصبية تقف بجانبه ، ولم يستطع اللحاق بأسياده في منتجعهم الجديد الأندلس . ذلك أن مولى القوم منهم ، يدل على ذلك ملازمته لسيده مروان بن محمد (٧٢ ـ ١٣٢ هـ) ، آخر خلفاء بني أمية ، ملازمة الظل ، حتى قتل .. ؟!

---

(١) أنظر الكامل في التاريخ لابن الاثير ٥ : ٤٢٩ .
وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٠ .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٥ : ٤٣٠ .

هذه الحساسية ، وفي جو تشتعل جوانبه حقدا وكراهية لبني أمية ، ومتابعة لهم في كل درب وصوب ، كان على أبي الشمقمق أن يلتزم جانب المسالمة ، ليأمن على حياته أولا ، وليضمن عيشا كفافا له ولأولاده .

ولكنه مع ذلك يتنفس الصعداء في أيام الأمين (١٧٠ — ١٩٨ هـ .) ، وفي بداية ولاية المأمون (١٧٠ — ٢١٨ هـ) ، التي أدرك منهـــا أياما ، فالتحق بخالد بن يزيد (... — ٢٢٦ هـ) عندما قلده المأمون ولاية الموصل ، ومدحه [١] .

كما حاول الاتصال ببعض الولاة العباسيين في خراسان ، بعيـــدا عن موطن الخلافة .. ومدح الشعراء الذين ينالون من عطايا بني العباس .. وولاتهم .

أما كنيته فهي : أبو محمد ، كما حكاه الدكتور الحوفي في كتابه الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها [٢] .

ولست أدري هل يعني بذلك أن له ولدا اســمه محمــد ، أو لأن والده يدعى محمدا .. ؟

كما أننا لا نستطيع الحكم عما اذا كان هذا هو اسمه الحقيقي «مروان بن محمد» أم هذه تسمية جديدة أرادها لنفسه ، لعلاقته بمروان بن محمد الأموي (٧٢ — ١٣٢ هـ) آخر خلفاء بني أمية ، وفاء له ، وتخليدا لذكراه .. فقد روى الجاحظ (١٦٣ — ٢٥٥ هـ) في كتابه الحيوان قوله : « وحدثني صديق لي قال : سألت أبا الشمقمق عن اســمه ونسبه . فقال : أنا مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد [٣] .

لكن كنيته التي اشتهر بها ، وغلبت على اسمه ، كما غلبت على كنيته التي حكاها الدكتور الحوفي ، تلك هي : « أبو الشمقمق » ، وقد تكون جاءت من التعريف اللغوي كما قال صاحب القاموس : الشمقمق كسفرجل ، الطويل من الرجال ، عن الفراء ، وقيل هو النشيط ، وأبو الشمقمق مروان بن محمد الشاعر » [٤] .

رمن هذا التعريف استدل الدكتور شوقي ضيف على أن الشمقمق الطويل [٥] .

---

(١) أنظر العمدة لابن رشيق ١ : ٦٨ .

(٢) ٢٦٢ .

(٣) ٧ : ١٣٤ .

(٤) ٦ : ٤٠٠ .

(٥) أنظر العصر العباسي الاول من تاريخ الادب العربي ص ٤٣٦ .

لكن غوستاف زاد على هذا التعليل شيئا جديدا لست أدري ما علاقته عنـــدما قال : ولعل هذا اللقب أطلق عليه لأنه كان عظيم الأنف أهرت الشدقين (١) .

لكن الزركلي قال في الأعلام : بأن الشمقمق باللغة التركية ، بكسر الشين ، وفتح الميمين معناها مدلل (٢) ، وعلى هذا تكون التسمية غير عربية الأصل ، كمـــا نستدل منها أيضا على أنه قد يكون من اصل تركي ، وليس خراسانيا من البخارية ، كما قا لغوستاف : بأنه من البخارية وعددهم (٢٠٠٠) من الرماة كانوا في أسرى بخارى وأتى بهم عبيد الله بن زياد الى البصرة عندما أغار عليها سنة ٥٤ هـ (٣) .

ولعل مما يثني العزم عن الأخذ برأي غوستاف هذا ، رغم أنه عزاه الى جب : « الفتوح الاسلامية في آسيا الوسطى » :

The Arab Conquest in Central ASIA

أنه اعتبره من الرماة الذين جاء بهم عبيد اللـــه بن زياد الى البصرة عام ٥٤ هـ ، وهذا غير مناسب ولا يتفق مع الواقع ، فكم كان عمره آنذاك ؟ .. وهل قدر له أن يعيش أكثر من (١٥٠ عاما) ؟ .. ولو أنه قال أحد أجداده لكان الأمر أدعى للقبول . وقد يكون هو الذي كنى نفسه ، وأطلق عليها هذه التسمية ، وأرادها لقبا يمتاز به (٤) أخذا من قوله في المزق يهجوه : —

كنت المـــــــزق مـــــرة فاليـــــوم قـــــد صرت المـــزق

لمـــــا جـــــريت مع الضلال (م) غـــــرقت في بحـــــر الشمقمق

كما حكاه الزبيدي (١١٤٥ — ١٢٠٥ هـ) في تاج العروس (٥) .

وهذا ليس بمستبعد بأن يأتي مثل أبي الشمقمق ، فيسمي نفسه ويكنيها .. اذ سبق أن رجحنا بأنه هو الذي سمى نفسه من باب العرفان بالفضل ، والوفاء لأسياده .

والآداب العربية حافلة بأشياء كثيرة من هذا النوع ، اذ كثير من الشعراء يطلق على نفسه وأسرته بعض التسميات .. أو يشم الناس من عباراته ومقالته ما يعطي هذا المدلول .

---

(١) شعراء عباسيون ص ١٢١ .

(٢) ٨ : ٩٨ الحـــاشية .

(٣) انظر شعراء عباسيون ص ١٢١ .

(٤) اللقب ما لم يصدر باب أو أم كما قال في البيت الشمقمق ، وكما كان يسميه بعض شعراء عصره ، والكنية ما صدر بهما كأبي الشمقمق .

(٥) ٦ : ٤٠٠ ، ونقلها غوستاف عن المؤتلف ص ١٨٦ ، وانظر شعراء عباسيون ص ١٤٣ .

أو لعل أبا الشمقمق أراد الاستتار خلف هذا اللقب ، لتغطية اسمه الحقيقي ، خوفا على نفسه من النقمة على الأمويين وأتباعهم .

ولا نجد لهذه التسميات تعليلا ، لأن أجدادنا العرب قالوا بأن الأسماء لا تعلل .

ولخمول مكانة أسرته ، وكونه من الموالي ، فانه لم يتضح تاريخ ولادته ، ولم نجد أحدا من الباحثين حديثا ، أو المتعرضين لسيرته ونوادره ، يتناول هذا الجانب بالبحث والترجيح .

كما أنهم أيضا ، بناء على ذلك ، لم يتعرضوا لمقدار عمره .. ولم يهتموا بتاريخ ولادته ووفاته .. اذ هو في نظرهم لا يعدو أن يكون فردا عاديا .

أما تاريخ وفاته فانني أميل مع الزركلي في الأعلام ، وأرجح أنه توفي عام ٢٠٠ هـ (١) ، وذلك أنه هجا يحيى البرمكي المتوفى عام ١٩٠ هـ . ومدح خالد بن يزيد المتوفي عام ٢٢٦ هـ ، عندما ولاه المأمون الموصل ، والمأمون قد تولى الخلافة عام ١٩٨ هـ .

على هذا التقدير أتوقع أنه عاش من عمره قرابة ٨٨ عاما ، فمروان بن محمد الأموي قتل عام ١٣٢ هـ ، وبموته انقضت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية ، ولا أظن أنه يستطيع أن يلازمه أبو الشمقمق في معاركه ، ويقف بجانبه في محنه المختلفة وعمره يقل عن عشرين عاما ..

وهذه السن أيضا ، جعلته يفتح عينيه في كنف سيده الذي رباه صغيرا ، وتبرر الوفاء المطلق والتقدير المتناهي .. مما دفعه الى نسيان اسمه الحقيقي أو تناسيه والتسمي باسم مولاه بعد وفاته ، والتكني بكنيته .

لكن الدكتور الحوفي في كتابه الفكاهة في الأدب ، يرى : بأن وفاة أبي الشمقمق حوالي عام ١٨٠ هـ (٢) . ولعله استدل على هذا بما جاء في طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) ، وهو ما مال اليه غوستاف (٣) ، وأخذ به الدكتور شوقي ضيف (٤) .

---

(١) الاعلام ٨ : ٩٨ .

(٢) ص ٢٦٢ .

(٣) راجع شعراء عباسيون لغوستاف ص ١٢١ . وانظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٥٥ .

(٤) راجع العصر العباسي الاول ص ٤٤٠ .

أما عن أوصافه ، فقد ذكر منها الزركلي : عظم الأنف ، هـرت الشدقين المنظر المنكر ، كثرة الهجاء (١) .

ويبدو أنه لم يعرف عنه من الأوصاف الجسمية شيء غيرها ، لأنها المتكررة عند كل من غوستاف (٢) ، والدكتور شوقي ضيف (٣) .

الا أن الدكتور شوقي ضيف زاد في أوصافه قائلا : ويقال انه قبيح المنظر ، وأضاف الى قبح شكله خبث لسانه ، فتحاشاه الناس وأزوروا عنه ، فلم يفتحوا له أبوابهم الا قليلا ، وسرعان ما كان الباب الذي يفتح في وجهه ، يغلق من دونه ، فعاش فقيرا محروما (٤) .

كما جاء في رغبة الآمل نقلا عن المبرد (٢١٠ ــ ٢٨٦ هـ) بأن أبا الشمقمق ربما لحن ، ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه (٥) .

وهذا الوصف المجمل يعطينا اشارة عن مستواه العلمي ، وتأثيراته النفسية ، فهو ربما لحن ، وهذا ما يفيد التقليل ، لأن لديه خلفية لغوية جيدة ، تحجبه عن اللحن دائما ، لكن روحه المرحة تجعله مع فقره وفاقته ، وبؤسه وتعاسته ، يميل الى الهزل فيكثر منه ، ويجعله ديدنه ، من باب الترويح عن الآخرين ، واستجلاب عواطفهم نحوه .. واستدرار نائلهم ليعطوه ، كما يصور ذلك كثير من شعره ، لكنه في مواطن الجد يكثر صوابه ، وتتفتح مواهبه .. وهذا ما سنحاول عرضه في نماذج من شعرم .

حالتـه المـادية :ـ

يقال بأن الشعر هو المصور لحالة العرب الاجتماعية ، والمعبر عن أحاسيسهم الشعرية ، كما أنه الصحيفة الناطقة بحالتهم المادية ، وعاداتهم التقليدية ، والكاشف لوضعهم السياسي ، وحركاتهم القتالية .

وشعر أبي الشمقمق يكشف لنا بواطن نفسه ، وخفايا حالته ، فهو ينبيء عن فاقته وفقره ، ولذا يسميه الدكتور هداره : شاعر الفقر والحرمان (٦) . فشعر أبي الشمقمق يصور حالته ، ويعكس واقع حياته ، في لوحة بارزة تشف ما بداخلها ..

---

(١) الاعـلام ٨ : ٩٧ .

(٢) راجع شعراء عباسيون ص ١٢١ .

(٣) راجع العصر العباسي الاول ص ٤٣٦ .

(٤) راجع نفس المصـدر .

(٥) رغبة الامل ٦ : ١١٠ .

(٦) قال هذا في حديث عابر بيني وبينه في الاسكندرية ، مشيرا الى مقال قدم فيه دراسة عن هذا الشاعر ، لكنه لم يتيسر لي الاطلاع عليه .

ففي قصيدة من تلك القصائد ينبيء عن واقعه المعيشي ، وما آلت اليه حالته الاجتماعية ، عندما احجره البرد ، في بيت صغير مبني من الطين الحر ، لا شيء فيه مما تطمح اليه النفس ، أو تتحرك من أجله المعدة ، سوى النوى والنخالة ، وهما مما لا يسد رمقا ، ولا يشبع جائعا .

بل ان هذا البيت الذي يسكنه ابو الشمقمق مليء بالجرذان التي هي سلوته وانيسه ، لا تجد لها زادا تقتات به ، ولا شيئا يربطها بالبقاء ، مما دفعها الى الفرار ، وحدا بها الى طلب المنتجع في مكان آخر .

اما البراغيث ، فلا تجد لها ما تتسلى فيه ، غير جسم ابى الشمقمق الناحل ، فتعبث به ، ويصارعها في معارك .

يصور أبو الشمقمق مثل هذه الحالة في قصائد متعددة ، سنورد بعضها في شعره .. ومنها قوله : —

ولقد قلت حين أحجرني البرد ((م))	**كما تحجر الكلاب ثعاله**
في بيت (١) من الغضارة قفر	**ليس فيه الا النوى والنخاله**
عطلته الجرذان من قلة الخير	**وطار الذباب نحو زباله**
هاربات منه الى كل خصب	**حين لم يرتجين منه بلاله**
وأقام السنور فيه بشر	**يسأل الله ذا العلا والجلاله**
أن يرى فأرة ، فلم ير شيئا	**ناكسا رأسه لطول الملاله (٢)**

ومثل هذه الأشعار لا تنبعث الا من احساس بالفاقة ، وشعور بالحرمان ، وتعبير عن آلام مكبوتة ..

فهو مع مقدرته الشعرية ، وخياله الخصب ، لم يكن له داله على الخلفاء العباسيين ، حتى ينهل من معينهم ، ويتكسب بشعره منهم ، مستدرا عطاءهم .

ولعل ذلك راجع الى علاقته بمروان بن محمد (٧٢ — ١٣٢ هـ) ، كما أنه لم يكن لديه صنعة — فيما أعرف — تغنيه عن السؤال ، أو تحدد له موردا ثابتا يسد رمقه ، ويغنيه عن التغني بالحرمان والفاقة .

---

(١) نقلها غوستاف ((في مبيت)) : شعراء عباسيون ص ١٤٩ .

(٢) راجع الحيوان للجاحظ ٥ : ٢٦٦ ، وشعراء عباسيون ١٤٩ .

ولذا فانه لم يجد مندوحة عن تسليط لسانه على بشار بن برد (٩٥ ــ ١٦٧ هـ) ليستبز منه العطاء بالقوة ، ويضمن لنفسه موردا يقتاب منه ، فقــد اورد ابن ظافر (٥٦٧ ــ ٦١٣ هـ) في كتابه بدائع البدائه ، هذه الرواية عن دعبل بن علي (١٤٨ ــ ٢٤٦ هـ) ، قال : كان لأبي الشمقمق على بشار مائتا درهم في كل سنة ، فأتاه أبــو الشمقمق في بعض السنين ، فقال : هلم الجزية يا أبا معاذ . فقـــال : ويحك !! أو جزية هي .. ؟؟

قال : نعم هو ما تسمع .. فقال له بشار يمازحه : أنت افصح أو احكم مني ؟! قال : لا ..قال : فلم أعطيك ؟ .. قال : لئلا اهجوك .. قال : لئن هجوتني لأهجونك . قال أبو الشمقمق : أو هكذا هو ؟ . قال : نعم فقل ما بدا لك . فقال أبو الشمقمق : ــ

اني اذا ما شاعــر هاجانيــه ولج في القــول له لسانيــه

أدخلتـــه في أست أمه علانيــه بشار يا بشار ... ...

وأراد أن يقول : يا ابن الزانية ، فوثب اليه بشار ، وامسك فاه ، ثم قال : اراد والله أن يشتمني ، ثم دفع اليه مائتي درهم ، وقال : لا يسمع هذا منك الصبيان (١) .

وقد جاءت هذه القصة في الأغاني ، لكن أبا الفرج الأصفهاني (٢٨٤ ــ ٣٥٦ هـ) زاد فيها رواية أخرى عندما قال : اخبرنا أحمد بن العباس العسكري ، قال حدثني الحسن بن عليل العنزي ، قال حدثني محمد بن بكر ، قال حدثني الأصمعي ، قال : أمر عقبه بن سلم الهنائي ، لبشار بن برد بعشرة آلاف درهم ، فأخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشارا . فقال له : يا أبا معاذ اني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون : ــ

هللينـــه هللينـــه طعن قثـــاة وتينـــة

ان بشـــار بن بـــرد تيس أعمى في سـفينه

فأخـــرج اليه بشار مائتي درهم ، فقال : خذ هـــذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق (٢) .

وعمل مثل هذا مرتين مع سلم الخاسر (... ــ ١٨٦ هـ) حتى اخذ منه خمسة

---

(١) انظر بدائع البدائه ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، كما أوردها الطاهر بن عاشور في جمعـــه وتحقيقه لديوان بشار ١ : ٢٢

(٢) ٢ : ١٨٩ ، ورواية الاغاني « هجانية » .

دنانير فأعطاه مع بخله ، بعد أن اسمعه ابو الشمقمق من تاذع القول ، وبذاءة العبارات ما ينبو عنه السمع ، وتمجه الأذن (١) ، وقد سمي الخاسر خاسرا ، لأنه باع مصحفا بطنبور للغناء .

وفي نظري انه لو كان له صنعة تغنيه عن مثل هذا ، أو يملك موردا للتكسب يسد به بعض حاجته ، ويلبي جزءا من متطلباته ، أو لو كانت عنده نزعة دينية تردعه عن الخوض في أعراض الآخرين ، ورميهم بالقذف ، والاسفاف في العبارات، فانه لا يحتاج لفرض مثل هذه الأتاوة على بشار ، ولا استدرار العطاء بالقـــوة من يسلم الخاسر ، وهما مثله لا صنعة لهما الا التكسب بالشعر ، ولا مورد لهما الا ما تجود به ايدي ذوى العطاء .

هذا من جهة ، ومن أخرى فان أبا الشمقمق فيما يبدو لا مكانة له يحب الحفاظ عليها ، فما دام هذان الشاعران البذيئان في شعرهما ، الفاحشان في هجائهما يخافان سطوة أبى الشمقمق وسلاطة لسانه .. فاننا قد نعتبره حسب الاصطلاح الدارج عند الناس بأنه « رجل سوقي — أو من ابناء الشوارع » ، الذين لا يحسنهم الحسن ولا يقبحهم القبيح ، ويعتبرون الغاية تبرر الوسيلة .

ولعل هذا الأسلوب الذي انتهجه أبو الشمقمق ، والقصة التي أوردها ابن ظافر (٥٦٧ — ٦١٣ هـ) ، والحكايتين اللتين أوردهما صاحب الأغاني ، كل ذلك له مقدمات تبين من القصة التي أوردها الخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٦٣ هـ) في تاريخ بغـــداد عند ترجمته لأبي الشمقمق في سند متصل ، الى الحسين بن سعيد الجهني ، قال : حدثني ابو الشمقمق ، قال : أتيت بشارا ، وقد اخذ صلة جزيلة ، بشعر عمـــله ، فسألته مواساتي بشيء ، فقال لي : عافاك الله ، تسألني وما لي صنعة ولا مكسـبة سوى الشعر ، وأنت شاعر مثلي ، تتكسب بالشعر .. ؟

فقلت : صدقت ، ولكني مررت الساعة بصبيان يقولون : —

ســـبع جـــوزات وتينـــه فتحـــوا باب المدينـــــة

---

(١) راجع الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٩ : ٢٣١ — ٢٣٢ ، وص ٢٤٠ ، وقد رماه في الاولى بهفة في عرض أمه ، وفي الثانية بعرضه هو .

وانظر شعراء عباسيون لغوستاف ص ١٣٧ ، وص ١٥١ نقلا عن معاهد التنصيص ٤ : ٤٤ ، ٥٤ ، وعن الاغاني أيضا .

وقد استكرهت هذا الشعر فلم أورده .

فسكت ساعة ، ثم قال : يا جارية ، هاتي مائة درهم للشمقمق . ثم قال : خذها يا أبا محمد ، ولا تكن راوية للصبيان .

قال : فأخذتها ، وخرجت فألقيتها على الصبيان ، قال علي بن محمد النوفلي : ما زلت أسمعها من الصبيان بالبصرة الى أن خرجت (١) .

اذ هي سمة فيه يتلقط أخبار زملائه الشعراء ، ويتشمم ما اتحفوا به من عطايا فيفرض لنفسه حقا في صلاتهم ، ويأخذ منهم بالقوة ، بحكم دالته عليهم ، وســلاطة لسانه في أعراضهم ، بأسلوب مألوف عند هذه الزمرة العاطلة عن العمل ، المتماجنة في القـــول .

وهو ، مع قلة حظه ، وسوء طالعه ، لم يكن ليرقى لمرتبة الشعراء المعـروفين في بلاط الخليفة ، ولم ترتفع به مكانته الأدبية الى أن يصبح من أصحاب الأســماء اللامعة عند حاشيته ، ذلك أن المهدي (١٢٧ ــ ١٦٩ هـ) فرق يوما جـــوائز على الشعراء ، فأعطى مروان بن أبي حفصه (١٠٥ ــ ١٨٢ هـ) ثلاثين ألفا ، فجاءه أبو الشمقمق فقال له : أجزني من الجائزة . فقال له : أنا وأنت نأخذ ولا نعطي . فقال : فاسمع مني بيتين . قال : هات . فقال أبو الشمقمق : ــ

لحيـــة مـــروان تقى عنـــبرا خالط مســـكا خالصـــا أذفرا

فما يقيمان بهـــا ساعـــة الا يعـــودان جميعـــا خـــرا

فأمر له بدرهمين ، ثم قال : واخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظه ، عن أبي هفان ، فذكر مثل هذا الخبر الماضي ، وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقـــال له : خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان (٢) .

ولم يكن أبا الشمقمق يترك التكسب بالشعر . مع مقدرته عليه تعففا . بل أتوقع أنه لا يستطيع الوصول لأبواب الخلفاء ، واسماع صوته لهم ، اما خوفا من عاقبة ، لولائه لبني أمية ، واما لقصور باعه في الشعر ، واما لخمول اسمه ، وعادة الخلفـــاء

---

(١) ١٣ : ١٤٦ .

وراجع الاغاني ٣ : ١٨٩ في رواية أخرى ، وص ١٤ من هذا الكتاب .

(٢) أنظر الاغاني لابي الفرج ١٠ : ٨٣ .

والولاة عدم الاهتمام الا بالبارز في اعماله ، والمشهور في شعره ، واما لعدم مقدرته على حسن المعاشرة ، وطيب المحادثة ، فلا يستطيع مجاملة الحجاب ، ولا معاشرتهم ، أو لا يستطيع ضبط لسانه في القول ، وكسب الود من الناس .. وهذا ما يسمى في عرف علماء النفس « المعقد » .

ولعل هذا من أسباب نقمته على المجتمع ، وكثرة هجائه لأصحاب الحظوة ، من الولاة والوزراء ، والمكانة الاجتماعية البارزة .

ذلك أن صاحب النزعة المستقلة ، والأصالة النفسية ، والعلاقات الاجتماعية ، والتشبع العقائدي ، لا يحقد على الآخرين ، أو يتطاول عليهم ، ولا يصفهم بأقذع العبارات ، وأفحش الكلمات .

ان الساخط على المجتمع ، والحاقد على أفراده ، يحسدهم على كل شيء ، ويصبح كالكلب المسعور ، يحاول التشفي ممن حوله ، بمستهجن القول ، ويتسلط عليهم ببذاءة اللسان .

ومع هذا ، فان أبا الشمقمق عندما تحين له فرصة للمديح يهتبلها ، وعندما تلوح له بارقة أمل في العطاء لا يضيعها ، طمعا في مكرمة ، وتزلفا لهبة ، واستبشارا بنائل .. فلقد روى ابن رشيق (... ــ ٤٥٦ هـ) في العمدة : ــ

« أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد (... ــ ٢٢٦ هـ) وقد تقلد الموصل ، فلما مر ببعض الدروب ، اندق اللواء ، فاغتم خالد بذلك وتطير منه ، فقال أبو الشمقمق : ــ

ما كان مندق اللواء لطيرة ... تخشى ولا سوء يكون معجلا

لكن هذا العود أضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عن خالد ، وكتب صاحب البريد يخبر بذلك الى المأمون ، فزاده ديار ربيعه، واعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم (١) .

وموقف آخر يبرز فيه استجداءه بالشعر ، وسعيه الحثيث خلف الصلات ، واسلوبه الملح في طلب العطاء .. فقد ذكر صاحب المستطرف ، أن أبا الشمقمق وفد الى مدينة سابور ، يريد محمد بن عبد السلام . فلما دخلها توجه الى منزله ، فوجده في دار الخراج يطالب ، فدخل عليه يتوجع له ، فلما رآه محمد قال : ــ

---

(١) انظر العمدة ١ : ٦٨ .

وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ١٢٩ ــ ١٣٠ مع أختلاف بسيط في الرواية .

ولقـــد قدمت عـــلى رجال طالما ... قـــدم الرجال عليهم فتمـــولوا

أخنى الزمان عليهم فكأنمـــــا ... كانوا بأرض أقفــرت فتحــولوا

فقال أبو الشمقمق : ـ

الجود أفلسهم وأذهب مالهـــم ... فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

الجـــود أفلسهم وغـــير حالهم ... واليوم ان سئلوا النوال تمحلوا (١)

فخلع عليه محمد ثوبه ، وخاتمه ، ودفعهما اليه ، فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة ، فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة ، واسقاط ما عليه من البقايا ، وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (٢) .

صـــــفاته : ـ

أودع الله في كل انســان على وجــه الأرض صفات تميزه ، وجعله يعيش على نمط معين في هذه الحياة .

ولذا نرى الناس تتفاوت خصالهم ، وتتباين طباعهم ، فيقوى جانب ، ويضعف جانب ، يقوى جانب الخير ، وتلمس مصادره عندما تكون النفس خيرة ونيرة .. ويقوى جانب الشر ونوازعه ، ومحاولة الاضرار بالآخرين والنيل من كرامتهم ، أو التسلط على أموالهم ، عندما يضعف جانب الخير ، ويقوى عامل الشر ومسبباته .

والباحث يتلمس الجوانب الخفية في صفات من يقوم بدراسة حياته ، ويتصيد الشارد من هذه الصفات في خفايا سيرته ، وجنبات تصرفاته ، وقد تقارب هـــذه التخمينات حدس الباحث ، أو قد تنأى عما هدف اليه ، وما توقعه .

وأبو الشمقمق واحد من أولئك الذين نتوخى صفاته الخلقية ، ونتلمس جوانب حياته ، من صفحات سيرته ، ومن فلتات لسانه ، وما رصده الكاتبون من متفــرقات عن حياته وشعره ، أو ما حفلت به كتب الأدب من أشعار وحكايات .. فهو : ـ

١ ـ **كثير الهجاء** : يفحش فيه ، سليط اللسان ، وهذا عائد الى تبرمه من الحيـــاة

---

(١) البيت الثاني زيادة عند غوســتاف في كتابه شــعراء عباســيون ص ١٤٥ نقلا عن محــاضرات الادباء ١ : ٢٨٥ .

(٢) المستطرف ١ : ١٥٣ .

ونقمته على المجتمع .. كما أنه ناتج عن الفاقة التي يحس بها ، والفقر المدقع الذي يعيش فيه . علاوة على عقدة باطنية يحس بها تجعله يرى الحسن قبيحا ، والجميل منكرا .. فقد نقل الجاحظ (١٦٣ — ٢٥٥ هـ) في البخلاء أن أبا الشمقمق كان يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول : —

رأيت الخبز عز لديك حتى حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئه الذباب (١)

٢ — لا يتورع عن رمي الناس ، ونسائهم بالبهتان ، أو الوقوع في أعراضهم ، لا لشيء الا الانتقام الشخصي ، أو الغضب لأمر من أمور الدنيا .

وقد رأيت أن أصون كتابي هذا عن الكلمات الجارحة ، والعبارات الآسنة التي أوقع أبو الشمقمق شعره في خضمها ، وتردى بألفاظه ، وعبارات قوله الى منحدرها ، وللراغب أن يتلمس ذلك في العمده لابن رشيق (... — ٤٥٦ هـ) (٢) والحيوان للجاحظ (١٦٣ — ٢٥٥ هـ) (٣) ، وشعراء عباسيون لغوستاف غرنبناوم (٤) .

ولعله في هذا المنحىساير حماد عجرد (... — ١٦١ هـ) في هجائه لبشار بن برد (٩٥ — ١٦٧ هـ) ، ذلك الهجاء الذي أقذع فيه وأفحش .

أو حاكى أبا نواس (١٤٦ — ١٩٨ هـ) ، وبشار بن برد ، في بذاءتهما بالعبارات الآسنة ، والكلمات الجارحة ، التي يتحاشاها الوقور ، وينبو عنها سمعه . أو جارى صنوه أبا دلامه (... — ١٦١ هـ) ، وشريكه في المنهج وأسلوب الحياة ، الذي يحاول اشاعة المرح في الآخرين بمفاكهات ينسبها لنفسه ، ومقالات تدور حوله وأسرته .

وعلى العموم ، فهذه سمة برزت في الفترة التي عايشها أبو الشمقمق من هذا العصر ، حيث كثر روادها ، وهم من معايشيه ومخالطيه ، اذ تربطه بهم حرفة الأدب وصنعة الكلام .

---

(١) ٥٥ .. وروحتنا أي حملت المروحه لتذب الذباب عنا .

(٢) ١ : ٧٠ .

(٣) راجع مثلا ١ : ٢٣٩ ، ٢٦٣ ، ٢ : ٣٦٠ ، ٤ : ٤١٠ — ٤١١ ، ٥ : ٢٦٩ .

(٤) راجع اشعاره من ص ١٣٠ الى ١٥٧ في هذا الكتاب .

وفي كتب الأدب العربي الشيء الكثير من هذه الحصيلة ، وقد حمل لواءها وقاد مسيرتها أصحاب مدرسة أبى الشمقمق ، وخلطائه في المجالس والندوات وشركائه في الأسلوب والخيال .

٣ ــ رقيق في دينه ، قليل المحافظة على تعاليم ربه ، يبين ذلك في المعاني والألفاظ التي تطرق اليها .. شأنه في ذلك شأن بعض الموالي الذين اتخذوا الأدب حرفتهم ، والتزلف بالكلام صنعتهم .

لكنني لم أجد من نسب اليه مروقا عن الدين ، أو انتماء لمذهب يغايره ، كما قيل عن بشار ، وأبي نواس، وحماد عجرد ، وغيرهم ممن اتهموا بالزندقة في عصر كثرت فيه الملل والنحل .. بعد أن أدخلوا في صفوف المسلمين شكوكا ، واندس في مجتمع الاسلام أناس لهم أهواء ومنازع مختلفة .

ويبين مثل هذا في ثنايا شعره ، وفي الفاظه التي يوردها ، مما يتورع عنه المسلم العارف ، ويتحاشى عن الوقوع فيه من يراقب ربه ، ويخشى على نفسه من سقطات اللسان ، كما في قصيدته التي يهجو فيها جميل بن محفوظ حيث بدأها بستة أبيات يتوجد على ترك بغداد الى الأهواز ، ليتمتع بالمعازف والشراب والجواري (١) .

٤ ــ كثير المزاح والمفاكهة ، يتظرف بشعره ، ويحرص على ايراد النادرة على نفسه ، يضحك الناس بتصوير حالة بؤسه ، وقصة حياته ، وأسلوب العيش الذي وقع فيه ، كما في قصائده عن الفأر والسنور ، حيث حكى حالة فقره ، وخلو بيته من مقومات الحياة ، حيث لم يجدا في هذا البيت ما يستأنسان به ، أو يرغبهما في البقاء لديه ، فآثرا الهجرة عنه ، طلبا لمعيشة ، وتزودا ببلغة (٢).

وقد لا يكون هذا دليل مادي على شدة فقره ، وتمكن فاقته ، ولعله أسلوب من الأساليب التي برزت لدى شعراء بني العباس في عصر أبي الشمقمق ، كنوع من التظرف والتندر ، ووسيلة من وسائل المفاكهة واشاعة جو المرح فيمن حولهم ، في أسلوب يمتاز بالمبالغة ، وعبارات يظهر فيها جانب التجسيم والتهويل .

---

(١) راجع كتاب غوستاف : شعراء عباسيين ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ه : ٢٦٤ ــ ٢٦٩ .

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فان قرائن حالته المالية ، وبراهين وضعه الاجتماعي ، ثم اقذاعه في هجاء سلم الخاسر ، من أجل خمسة دنانير (١) وتسليط لسانه على مروان بن أبي حفصه (١٠٥ ــ ١٨٢ هـ) بالهجاء من اجل درهمين أو عشرة (٢) ، لا يدل على دناءة نفس ، بقدر ما يدل على حاجة وعوز .

وقد افرد الجاحظ (١٦٣ ــ ٢٥٥ هـ) لأشعاره تلك صفحات واسعة في كتابه الحيوان .

كما أعجب بهذا الأسلوب ، وانتهج هذا الطريق كثير من شعراء النهضة الحديثة ، كتعبير عن خفة الظل ، ولون من الوان المؤانسة والاضحاك ، كأمير الشعراء احمد شوقي (١٢٨٥ ــ ١٣٥١ هـ) في كثير من قصائده التعليقية على الدكتور محجوب، وتهكمه به في أسلوب ضاحك ، ضمن القصائد التي نشرت في ديوان الشوقيات (٣) .

٥ ــ يهزل كثيرا ، ويتعمد هذا ، لكنه عندما يجد يكثر صوابه ، فقد قال سيد مرصفي في رغبة لآمل من كتاب الكامل : وكان أبو الشمقمق ربما لحن ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه (٤) . كما يرى ابن المعتز بأن شعره كله من النوادر (٥) .

٦ ــ قبيح المنظر ، عظيم الأنف ، أهرت الشدقين ، وأضاف الى قبح شكله خبث لسانه ، فتحاماه الناس وابتعدوا عنه (٦) .

٧ ــ سيىء الطالع كثير النحس ، كما وصف نفسه ، فهو يرمي نفسه بالشؤم ، ويصف بخته بالسوء ، يصور ذلك بأسلوب يستدر به العطف ، ويستمطر به العطاء ..

ذلك أنه يرى تصوير ما وصلت اليه حالته من بؤس وشقاء ، راجع الى

---

(١) راجع الأغاني ١٩ : ٢٣١ ــ ٢٣٢ ، ٢٤٠ . وص ١٤ ــ ١٥ من هذا البحث .

(٢) راجع الأغاني ١٠ : ٨٣ ، وص ١٦ من هذا البحث .

(٣) راجع الشوقيات ٤ : ٢٠٤ ــ ٢١١ .

(٤) أنظر ٦ : ١١٠ والاعلام للزركلي ٨ : ٩٨ .
وانظر شعراء عباسيون لغوستاف ١٢٥ نقلا عن المبرد في الكامل نفسه والبغدادي ١٣ : ١٤٦ .

(٥) طبقات الشعراء ص ١٢٠ .

(٦) انظر العصر العباسي الاول لشوقي ضيف ص ٤٣٦ .
والاعلام للزركلي ٨ : ٩٧ .

هـــذه الصفة التي لازمته ، والطلعة التي لم تفارقه في شـــؤون حياته .. عندما يقول : —

لو ركبت البحـــار صارت فجاجا	**لا ترى في متونهـــا أمـــواجا**
فلو أني وضعت ياقوتة حمراء (م)	**في راحتي لصـــارت زجاجا**
ولو أني وردت عـــذبا فـراتا	**عاد لا شك فيه ملحـــا أجاجا**
فالى الله أشتكي والى الفضل (م)	**فقـــد أصبحت بزاتي دجاجا (١)**

٨ — ولعل أوضح صورة تنبيء عن أبي الشمقمق ما ذكره ابن عبـــد ربه (٢٤٦ — ٣٢٨) تحت باب من أخبار المحارفين الظرفاء ، اذ بدأ بأبي الشمقمق عنـــدما قال : منهم أبو الشمقمق الشاعر . وكان أديبا ظريفا محارفا ، وكان صعلوكا متبرما بالناس ، وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة ، وكان اذا استفتح عليـــه أحد بابه ، خرج فينظر من فروج الباب ، فان أعجبه الواقف فتح له . والا سكت عنه ، فأقبل اليه يوما بعض اخوانه الملطفين له ، فدخل عليه ، فلما رأى ســـوء حاله قال له : أبشر أبا الشمقمق ، فانا روينا في بعض الحديث : « أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة » . فقال : ان صح والله هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم بزازا (٢) .

٩ — يرى الدكتور شوقي ضيف أن فيه خشونة وجفوة ، مع نزق وطـــول لسان وتعجل في اللوم والهجاء (٣) .

بين شوقي وأبي الشمقمق : —

ان من علو قدر الشاعر ، ونباهة ذكره ، وسمو مكانته في عالم الأدب ، أن يكون مثالا يحتذى ، ونبراسا يسار على منواله .

فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي (١٢٨٥ — ١٣٥١ هـ) ، مع ما وصل اليه في عالم الشعر فيعصر النهضة الحديث ، من رسوخ قدم ، وسمو منزلة ، يحـــاول التظرف في شعره ، فيمداعبته للدكتور محجوب ، على طريقـــة أبي الشمقمق ، بالأسلوب الساخر ، والمبالغة المضحكة .. في هذا ، وفي حكاياته المتعددة عـــلى

(١) العقد الفريد ٧ : ٢٠٨ .

وانظر شعراء عباسيون لغوستاف ١٣٢ .

(٢) العقد الفريد ٧ : ٢٠٧ .

(٣) انظر العصر العباسي الاول ص ٤٣٧ .

السنة الحيوانات ، ذلك الأسلوب القصصي الذي صـــــوره أبو الشمقمق في حكاية فقره ، وهروب السنور والفئران من بيته ، بعد أن يئست من الحصول على ما يقيم أودها ، ويسد رمقها في هذا البيت .

ومع أن شوقيا لم يذق الفقر ، ولم يكتو بنار الحرمان ، كما طعمهما أبو الشمقمق . لكنه يسوق شعره من باب التظرف والمداعبة لصديقه الدكتور محجوب ، ولذا فان نفسه قصير ، وخياله محدود ، وليست المعاناة كالمحاكاة .

أما أبو الشمقمق فانه يبالغ في تصوير حالته وفقره ، ووصف ما آلت اليه أموره وحياته ، لكن المعاناة وآلامها ، ولوعة الحرمان ، كل ذلك يبرز من جنبات عباراته .

الا انهما يشتركان في المبالغة والخيال ، وتصوير الحالة التي مرت بكل منهما .. والمبالغة والخيال الواسع من سمات العصر الأول من العهد العباسي ، بعـــد أن امتزجت الثقافة العربية ، بعلوم الشعوب الأخرى ، وثقافات أبنائها .

يقول أبو الشمقمق في الفأر : —

أخـــذ الفـــأر برجـــلي	جفلوا منهـــا خفـــافي
وســـــراويلات ســـــوء	وتبـــابين ضـــعاف (١)
درجـــوا حـــولي بزفن	وبضـــرب بالـــدفاف (٢)
قلت ما هـــذا ؟ فقـــالوا	أنت من أهـــل الـــزفاف
ساعـــــة ثمت جـــازوا	عن هـــواى في خـــلاف (٣)
نقـــروا ... وباتـــوا	دون أهـــلي في لحـــافي
لعقـــوا ... وقالـــوا	ريح مســـك بســـلاف (٤)
صـــفعوا نازويـــة حـــتى	اســـتهلت بالـــرعاف (٥)

(١) التبابين : جمع تبان كرمان وهو سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العـــورة المغلظـــة ، فقط يكون للملاحين ، وهو أصدق ما يطلق على لباس البحر في العصر الحاضر .

(٢) الزفن : الرقص أو شبيه بالرقص ، والدفاف جمع دف وهو ما يضرب عليه عند الرقص .

(٣) ثمت هي ثم زيدت في آخرها التاء كما تزاد في رب فيقال : ربت .

(٤) السلاف : الخمر الخالصة .

(٥) نازويه : أراد به الهـــرة ، الرعاف : ســـيلان دم الانف وقطراته ، راجع الحيوان للجـــاحظ ٥ : ٢٦٨ — ٢٦٩ .

يحاكيها شوقي في براغيث محجوب بالصورة والصفة ، وان اختلف عن أبى الشمقمق في أسلوب الاستطعام منه ، لأن شوقيا أرقى عبارة ، وأكثر وقارا من سابقه . فأبو الشمقمق جعل الفأر ، لا يخشى الهرة ، بل عكس الوضع الطبيعي ، فقد صفع نازويه ، وهي هرته ، حتى رعف أنفها ، كما أصر على تناول طعامه من مكان حساس في جسمه .

بينما شوقي يجعل براغيث محجوب تتناول طعامها من جسم الزائر ودمه ، وهو شوقي ، فتشق جوربه ، وتنفذ في اللحم والأعظم ، ثم تبحث عن طعامها في فم الدكتور محجوب ، وبين حفائر أسنانه ، حينما يقول : ـــ

براغيث محجوب لم أنسها	**ولم أنس ما طعمت من دمي**
تشق خراطيمها جوربي	**وتنفذ في اللحم والأعظم !**
وكنت اذا ألصيف راح احتجمت ((م))	**فجاء الخريف فلم أحجم**
ترحب بالضيف فوق الطريق ((م))	**فباب العيادة فالسلم**
قد انتشرت جوقة جوقة	**كما رشت الأرض بالسمسم (٣)**
وترقص رقص المواسي الحداد	**على الجلد ، والعلق الأسحم (٤)**

★ ★ ★

بواكير تطلع قبل الشتاء	**وترفع ألوية الموسم**
اذا ما ((ابن سينا)) رمى بلغما	**رأيت البراغيث في البلغم (٥)**
وتبصرها حول ((بيبا)) الرئيس	**وفي شاربيه وحول الفم (٦)**

---

(٣) جوقه : كلمة غير عربية الاصل ويعني بها المجموعة .. وتطلق غالبا على جوقة الموسيقى وهم المجموعة العازفة ، وهذا البيت والبيت الذي قبله شبيه بقول أبي الشمقمق في موضع آخر :

نزل الفأر ببيتي	**رفقة من بعد رفقه**
حلقا بعد قطار	**نزلوا بالبيت صفقه**

(الحيوان ٥ : ٢٦٧)

(٤) المواسي : جمع موسى وهو ما يحلق به وقد وصفها بانها حديده وماضية .

(٥) ابن سينا يرمز به الى الدكتور محجوب فهو كناية .

(٦) بيبا : كلمة غير عربية وهي غليون التدخين ، الرئيس هو ابن سينا ويكنى بذلك لمحجوب .

وبين حفـــــائر أســـــنانه مع السوس في طلب للمطعم (١)

ومن يقارن بين هزليات شوقي ، ومداعبات أبى الشمقمق ، يرى تقـــاربا في الأسلوب ، وتجاوبا في الفكرة ، وتماثلا في الأسلوب القصصي ، الا أن شوقيـــا يفضل سابقه باتساع الأفق ، والتجاوب مع الفكرة .. لكنه لا يداوم على الموضـــوع كما يعمل أبو الشمقمق .

بينما ترى أبا الشمقمق يغلب جانب الاستجداء ، واستدرار العطف ، على حالته الاجتماعية ليكسبنائلا . ويتحصل على عطاء .

وهنا يبرز جانب الجودة وعدم التكلف عند شوقي ، وجانب السخرية والمبالغة اللتان يستدر بهما العطف عند أبي الشمقمق .

نـــــوادره : ــ

العرب أمة مرحة ، تهتم بالنادرة ، وتتلهف الى ما يضـــحك ، يلتقطون ذلك من مصادره ، وينمون هذا النوع في مجتمعاتهم ونواديهم .

ولذا كانت مجالس أنسهم ، وليالي سمرهم ، تحفل بالكثير من هـــذا النوع ، ويروجه أفرادهم ، ويتناقلونه فيما بينهم .

وقد اهتم الرواة بتدوينه وتداوله .

وهذا النمط وان ضعف مع الحركة الاسلامية ، والدعوة لعلوم الدين ، دراســة ودراية ، وتغليب جانب التزود من علوم الدين ، والنهل من معارفه ، عـــلى باقي الأمـــور الدنيوية .

فانه ظهر بصورة أشمل في العصر الأموي ، وبعد أن طغت الدنيا ، وكثر رواد المتعة ، وتوسعوا في مجالس الانس والسمر ، وطلبوا اللهو والتسلية ، بحثـــا عن اللذة ، وترويحا عن النفس .

ولكن العصر العباسي الأول اكتسب طابعا مميزا في هـــذا اللون من الأدب ، فتفرد له : ــ

ــ طبقة مميزة من الكتاب ، يتابعون ويجمعون ، ويدونون ويرصدون .

ــ مجالس خاصـــة من الأنس والسمر ، واللهـــو والتضحيك .. روادها الأمراء والكبراء ، والقادة وذوو الجاه والمال .

---

(١) انظر الشوقيات ٤ : ٢٠٩ .

— رجال متفرغون ، لا هم لهم الا اضحاك الناس والترويح عما يجدونه من سأم واستدرار العطف والعطاء بهذا الأسلوب الذي يفتح مغاليق النفوس .

فكانت سمات التندر والحرافة ، من الصفات الملازمة لبعض الأدباء ، يقولونها شعرا ونثرا ، يصورون بها حالتهم الاجتماعية ، ويعبرون بمغزاها عن همسات مجتمعهم المختلفة ، وينفسون بذلك عن خلجات نفوسهم ، وانعكاساتهم السياسية .

حتى أصبحت النادرة صنعة لبعضهم ، وظاهرة ملازمة له ، تقترن باسمه ، وتنسب اليه .

وأبو الشمقمق واحد من أولئك النفر الذين امتازوا بهذه الظاهرة في العصر العباسي الأول ، ما ان يرد له ذكر الا كانت البسمة تعلو الشفاه ، والضحكة تراود المحيا ..

ولم يكن بأكثر مجموعته نادرة ، ولا أبرزهم حرافة ، لكن الأدباء أعطوه هذا المصطلح ، وألزموه هذه الصفة ..

فقد اعتبره ابن عبد ربه (٢٤٦ — ٣٢٨ هـ) من المحارفين الظرفاء ، عندما قال عنه : وكان أديبا ظريفا محارفا (١) .

ووصف شعره ابن المعتز (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) بأنه نوادر كله (٢) . ومع هذا فهو لا يتكلف ذلك ، بل يطلق الكلام دون التحسب لعواقبه ، وما يتركه من حساسيات .

ولعل أغلب نوادره هي ما ضمنه أشعاره .. وهذا ما سوف يدركه القاريء في تتبعه لشعره المبسوط في هذا البحث ، ذلك الشعر الذي يصور فيه فقره وفاقته ، ويعبر فيه عما آلت اليه حاله وأولاده ، من بؤس وعناء ، وفراغ في اليد ، وضمور في البطن ، كما يرسم صورة مجسمة لواقع مجتمعه الفقير ، بأسلوب تصويري مضحك .

وحسبنا هنا أن نورد بعض النوادر التي نسبت اليه .. وأتوقع أن مجموعة كبيرة من نوادره قد لفتها أقلام الكتاب ، وأدرجتها السنة الرواة ، لغيره من المعاصرين له .

ذلك أن أبا الشمقمق من المطبوعين في هذا المجال ، المغمورين في مجالس علية المجتمع .. ومن يريد الشهرة والارتقاء لا بد أن ينسب الأشياء لنفسه ، أو لغيره من البارزين .

---

(١) العقد الفريد ٧ : ٢٠٧ .
(٢) الطبقات ١٢٩ .

وبرهان آخر ان الأشياء المنسوبة اليه ، مع قلتها ، نجد بعض المتظرفين ينحلونها لأنفسهم ، أو يسيرون على منوالها (١) ، وهذا ليس بغريب ، فقد حصل السطو الأدبي في هذاالعصر على مداه ، في الشعر والنثر ، والطرفة لا تقل اهمية في نظرهم عن سواها .

أما نوادره فمنها : —

١ — روى ابن المعتز أن اعرابيا مر بأبي الشمقمق الشاعر ، فقال له : يا أعرابي . قال : ما تشاء ؟ قال : أتقول الشعر ؟ .. قال : بعضه . قال : خذ هذا الدرهم واهجني . فأطرق الأعرابي هنيهة ، ثم قال : ما رأيت أحدا يشتري الهجو بالثمن غيرك . قال : وما أخذ . قال الأعرابي : —

مررت . . . بفل مسبطر	**فويق الباع كالحبل المطوق (٢)**
فما أن زلت أعركه بكفي	**الى أن صار كالسهم المفوق**
فلما أن طفى وربا وأندى	**ضربت به ... أم أبى الشمقمق(٣)**
أزيدك أم كفاك ؟ وذاك أني	**رأيتك في التجارة لم توفق**

فقال أبو الشمقمق : أعوذ بالله من الشقاء ، ما كان أغناني عن هذه التجارة (٤) .

٢ — وأورد أيضا هذه النادرة ، فقال : ماتت ابنة عم أبى جعفر المنصور ، فحضر دفنها ، فلما صار على شفير القبر ، اذا هو بأبى الشمقمق ، فقال له : ما أعددت لهذا الموضع ؟.. قال : ابنة عم أمير المؤمنين ، فضحك المنصور في ذلك الموضع ، على أنه قليل الهزل ، وقد روى بعض الناس أن هذا الكلام لأبي دلامة مع المنصور (٥) .

٣ — روى له الجاحظ (١٦٣ — ٢٥٥ هـ) هذين البيتين في الفيل : —

---

(١) راجع بعض طرائف الجماز في محاضرات الأدباء للاصفهاني . والامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
كابيات أبي فرعون الشاشي ٣ : ٥٣ في وصف فقره وحاجته .
وبعض أشعار حماد عجرد في هجاء بشار .

(٢) مسبطر : ممتد .

(٣) مكان النقط كلمة أسقطتها ولمن يريدها العودة للمرجع .

(٤) انظر الطبقات ١٢٦ .

(٥) نفس المصدر .

يا قوم اني رأيت الفيل بعـــــدكم فبارك اللــــه لي في رؤية الفيل
رأيت بيتـــــا له شيء يحـــــركه فكرت أصنع شيئا في السراويل(١)

٤ ــ وقال عنه ابن عبد ربه (٢٤٦ ــ ٣٢٨ هـ) بأنه لزم بيته في أطمار مسحوقة ، وكان اذا استفتح عليه أحد بابه ، خرج فينظر من فروج الباب ، فان أعجبه الواقف فتح له ، والا سكت عنه ، فأقبل عليه يوما بعض اخوانه الملطفين له ، فدخل عليه ، فلما رأى سوء حالته قال له : أبشر أبا الشمقمق ، فانا روينـــا في بعض الحديث : « أن العارين في الدنيا هم الكاسون يو مالقيامة » ، فقال : ان صح والله هذا الحديث ، كنت أنا في ذلك اليوم بزازا . ثم أنشأ يقول : ــ

أنا في حال تعـــالى اللـــــه ربي أي حال
ليس لي شيء اذا قيـــل لمـــن ذا قلت ذا لي
ولقـــــد أهـــزلت حـــتى محت الشـــمس خيـــالي
ولقـــــد أفلســـت حـــتى حـــل أكـــلي لعيـــالي (٢)

شـــــعره : ــ

لقد حكم كل من بشار بن برد (٩٥ ــ ١٦٧ هـ) ، ومروان بن أبي حفصـــة (١٠٥ ــ ١٨٢ هـ) وهما شاعران مبرزان ، على أن أبا الشمقمق شاعر ، والشعراء لا يحكمون عـــلى غـــيرهم بأنه شاعر الا لما يعرفونه من مقالتـــه الجيـــدة ، ومدلوله الشاعري ، وموهبته الفنية .

كما وصفه ابن المعتز (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) بأنه الشاعر (٣) ، وابن المعـــتز من الشعراء النقاد ، ولم يكن ليحكم عليه بالشعر لولا مكانته فيه ، وهذا الوصف أيضـــا

---

(١) الحيوان ٧ : ١٧٥ .

(٢) انظر العقد الفريد ٧ : ٢٠٧ ، وانظره أيضا ٢ : ٣١٣ ــ ٣١٤ . وانظر ص ٤٧ من هذا الكتاب .

وهذه الحادثة شبيهة بما نسب للشاعر الجماز المعاصر لأبي الشمقمق وهو من الظرفاء أيضـــا ولعل أحدهما أخذ من الآخر هذه الصفة .

وأخبار الجماز في محاضرات الأدباء وزهر الآداب للحصري ، وجمع الجواهر للحصري أيضا .

(٣) الطبقات ١٢٦ .

قد أطلقه عليه ابن عبد ربه (٢٤٦ ــ ٣٢٨ هـ) (١) ، وهذين الناقدين قريبا العهد بأبي الشمقمق في التدوين والدراسة .

وقد مر بنا بعض من أشعاره ، الا أن تلك الأبيات الخاطفة التي أوردناها تزيد رغبة القاريء في الوقوف على أبيات أخرى لهذا الشاعر الفكه ، ليتبين له منزلته بين الشعراء ، وليزيل عن نفسه أمورا من جدية الحياة ، وبعضا من سآمة رتابتها .

ومع أنني درجت هنا على منزع معين ، وهو عدم ذكر الأشعار التي أسف أبو الشمقمق في عباراتها ، أو انحدر في معانيها وألفاظها ، وذلك بالحذف أو البتر ، على أن أرشد الى موضع المراجعة لمن أراد ذلك .

وان في هجاء أبي الشمقمق ، وحكاياته ما يسد النقص ويمتع القاريء ، ويروض فكره ، ويجدد صفاء ذهنه .

كما يجد القاريء في أشعاره كثيرا من الجد الجيد ، والصواب الراسخ ، والعقيدة الصحيحة ، فهو يبغض الزنادقة ويهجوهم (٢) ، ويسلم الأمر لله فيما وصل اليه من عوز وحاجة (٣) .

ولم يكن أبو الشمقمق ممن طرق أغراض الشعر المختلفة ، أو خاض في بحوره المتعددة ، بل قصر جهده ــ فيما وصل اليه علمي ــ على أغراض شائعة ، وموضوعات متعارف عليها .

ــ فهو يمدح طمعا في عطاء ، واستزادة من نائل .

ــ ويبالغ في وصف حالة فقره ليستدر العطف ، ويستمطر الهبات .

ــ ويهجو اذا لم يظفر بمطلبه ، أو استبطأ الصلة .

مع أنه قصر دون بلوغ أعتاب الكبراء أو الوصول لمجالسهم، فكان عليه أن يتظرف بمفاكهات على نفسه ، ومبالغات بسوء طالعه ، وشدة فقره ، ليأخذ من هبات قرنائه ، وليفرض آتاوة في عطائهم ، فان أجدى ذلك والا بسط لسانه بأقذع الكلمات . وأفحش العبارات ، في هجاء مر ، وكلمات ساخنة ، تقطر سخفا وسخرية .

ولم يكن من الشعراء الوصافين ، رغم توسع هذا النوع في الشعر العباسي ،

---

(١) العقد الفريد ٧ : ٢٠٧ .

(٢) راجع الحيوان للجاحظ ٤ : ٤٥٤ في هجوه لجميل بن محفوظ ، وهو من الزنادقة .

(٣) انظر القصيدة اللامية في العقد الفريد ٧ : ٢٠٧ .

والطبقات ص ١٢٨ القصيدة الرائية .

والعقد ص ٣ : ٢٠٨ القصيدة الجيمية .

مع اتساع الحضارة ، وانفتاح أبواب المدنية ، وتوفر المسببات التي تخصب الخيال من مناظر الطبيعة ، ومؤثرات المجتمع .

وكلما يأتي به من وصف ، لا يخرج عن التشبيهات المحكمة ، والاستدلالات المقربة ، تأتي ضمن شعره ، دون أن يفردها بجهد مستقل ، أو قصيدة منفردة ، كما هي الحال عند كثيرمن الشعراء كأبي نواس (١٤٦ — ١٩٨ هـ) ، والبحتري (٢٠٦ — ٢٨٤ هـ) ، وكشاجم (... — ٣٦٠ هـ) ، وابن المعتز (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) ، وغيرهم من شعراء هذا العصر .

كما أنه لم يكن ذا نزعة عاطفية ، أو غزل رقيق ، يظهر للقاريء كوامن نفسه ونوازع عاطفته ، من جد وهزل ، وعذرية ومجون ، كما هي الحال عند بشار (٩٥ — ١٦٧ هـ) ، وعلي بن الجهم (... — ٢٤٩ هـ) ، وأبي نواس (١٤٦ — ١٩٨ هـ) ، وابن المعتز (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) .

بل لعل انشغاله باشباع بطنه ، واطعام عياله ، أنسياه عاطفة الحب ، وتلمس الهوى .

وأبو الشمقمق في أشعاره قصير النفس ، وبضاعته في الشعر لا تسمو الى درجة الفحولة ، أو ترتفع الى مكانة المرموقين ، ولعل ذلك راجع الى قلة ما وصل الينا منه .

وان القليل من أشعاره مما وصل للمكتبة العربية ، لا يرفع هذا الشاعر الى منزلة الكبار من شعراء العباسيين كابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ هـ) ، وهو من شعراء الطبقة الكادحة ، وأبي تمام (١٨٨ — ٢٣١ هـ) ، والبحتري (٢٠٧ — ٢٨٤ هـ) ، اللذين ارتفعا بجهدهما الى طبقة العلية في المجتمع ، وغيرهم ممن خاض في بحور الشعر ، وتمكن من مدلولات اللغة .

فهو وسط في أفكاره ، ووسط في خياله والفاظه ، يميل الى الضعف في عمقه ومدلولاته ، عندما يهزل أو يسف .

قد جعل شعره وسيلة للاكتساب : هجاء ومدحا ، أو للعلاقة الاجتماعية بالاستظراف والتفكه في جلساته الاخوانية .. لا ينبىء عن عمق ديني أو محافظة عقائدية .. ولكنه مع ذلك لا يدل على خروج عن قواعد الدين ، أو دعوة لمذهب من المذاهب .

وهذا الحكم على شعر أبي الشمقمق يعود الى أشياء منها : —

١ — عدم حفظ شعره لكثرة ما فيه من اسفاف وابتذال .

٢ ــ كثرة هزله ، وسلاطة لسانه .

٣ ــ عدم نباهته ، وسطوع نجمه ، والناس لا يهتمون بالخامل ، ولا يحفظون الا شعر اللامعين ، من ذوى الأسماء البراقة ، والسمعة الاجتماعية ، ومن لهم ذكر في مجالس الخلفاء ، وذوى الجاه والسلطان .

٤ ــ اتصاله بمجموعة من الشعراء لهم مكانة مرموقة ، وسمعة طبقت الآفاق ، كبشار (٩٥ ــ ١٦٧ هـ) ، وأبي العتاهية (١٣٠ ــ ٢١١ هـ) ، فغلب شعرهم شعره ، وطغت أسماؤهم على مكانته ، وعلت شهرتهم على سمعته .

ولا نستبعد مع ذلك أن تكون بعض قصائده ، قد دخلت ضمن أشعارهم المدونة ، فكلهم ينهلون من مشرب واحد ، وينتمون الى مدرسة واحدة في الأفكار والأهداف .

٥ ــ أو أن شاعريته لم ترتفع الى منزلة هؤلاء ، ولم تبلغ مكانتهم ، فتكون بضاعته القليلة آتية من قلة ملكته ، وعدم عمقه الشعري وارد من ضعف حصيلته اللغوية وخصبه الخيالي .

ومع قلة ما تناقلته كتب التراث من أشعار لأبي الشمقمق ، فانها في غالبها صورة متكررة يجمعها الموضوع الذي قيلت فيه ، والمناسبة التي أوردها الشاعر لأجلها .

ولعل أكثر الكاتبين رصدا لأشعار أبي الشمقمق ، وايراد شواردها هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣ ــ ٢٥٥ هـ) في كتابه الحيوان .

وقد كان غوستاف في دراسة مقتضبة بين أبي الشمقمق من جهة ، وبين مطيع ابن اياس (... ــ ١٦٦ هـ) ، وسلم الخاسر (... ــ ١٨٦ هـ) من جهة أخرى ، حيث اعتبر أن أبا الشمقمق هو أطرف هؤلاء الثلاثة .. وان كان في الحقيقة دونهم نجاحا ، وأقلهم نتاجا ، غير أن موهبته الفذة تعطلت بسبب افتقاره الى ضبط النفس ، ونتيجة لاخفاقه الدائم ، ولا يقل ابداعه أهمية عن مجونه الرخيص ، فقد اقترن فيه الحس المرهف بالوقاحة ،والذكاء بالسخف ، والرقة بالفظاظة ، وهو يمثل الأخلاق المضطربة ، والعادات القلقة التي سادت عصره (١) .

وقد ذكر ابن النديم (... ــ ٤٣٨ هـ) أن لأبي الشمقمق ديوان شعر يقع في سبعين ورقة (٢) .

---

(١) انظر شعراء عباسيين ص ١٠ .

(٢) الفهرست ص ١٦٣ .

وقد جمع غوستاف من هذا الشعر (٦٣) قطعة ، تضم حوالي ٢٥٥ بيتا [١] ، منها بعض القطع التي تتكون من بيت واحد أو بيتين . وجميع ما وقع عليه نظري من هذا الشعر لا يصل الى الحد الذي يفرد بالدراسة المستقلة والتحليل ، لأن اغلبه يسير في قالب واحد ، وعلى وتيرة لا تختلف ، فلا عمق فيها ، ولا تقعر في المعنى والخيال .

ولعل هذا مماأثار حفيظة المرزباني (٢٩٧ ـ ٣٨٤ هـ) : فوصف شعره بأن أكثره ضعيف ، وربما ندر له البيت [٢] .

أما المبرد (٢١٠ ـ ٢٨٦ هـ) : فقد لاحظ أنه ربما لحن ، ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه [٣] .

ومن هذا المنطلق ، فان ما أوردته هنا من تعليق على شعر أبي الشمقمق ، لا أسميه دراسة بمفهومها العام ، بل هي فكرة خاطفة تشير الى مواطن البروز والضعف فقط ، وأترك الباب مفتوحا لمن يريد أن يتناول هذا الشاعر بالدراسة والتحليل ، وتناول كل قصيدة بمفردها شرحا وتحليلا ، ولشعره بالموازنة والتفتيت ، ولمنزلته الأدبية بالمقارنة والاستدلال ، ولانتاجه الفكري بالاستقصاء والحصر .

ذلك أن أبا الشمقمق قد كان له معجبون مهتمون بشعره ، وناقدون يستخفون بهذا الانتاج ، ولا يقيمون له وزنا .

وهذه الحكاية التي أوردها الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ) ، دليل مادي على اختلاف وجهات النظر حول هذا الشاعر ، بين المغالاة في شعره ، ورفعه الى منازل طبقات المجيدين ، ومحاولة الانتقاص من قدره ، وسلبه مقومات الشاعر المجيد ، اذ قال : « وقيل لابن داحة ـ وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، واذا هو في جلود كوفية ، ودفتين طائفتين بخط عجيب . فقيل له : لقد أضيع من تجود بشعر أبي الشمقمق فقال : لا جرم والله ؟! . . ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه

---

(١) راجع كتابه : شعراء عباسيين ١٣٠ ـ ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٣) أنظر رغبة الامل ٦ : ١١٠ .

والأعلام للزركلي ٨ : ٩٨ .

وغوستاف في شعراء عباسيين ١٢٥ نقلا عن المبرد في الكامل نفسه .

والبغدادي ١٣ : ١٤٦ .

سويداء قلبي ، أو أجعله محفوظا على ناظري لفعلت » (١) .

وفي نظري أن كلا من الفريقين : الحاكمين له ، والناقمين عليه ، على حق .. اذا نظرنا الى جوانب شعره المختلفة .

فالمهتمون بشعره ، والمعجبون بمكانته ينظرون الى شعره في حالة الجـــد ، ورزانته حين التأني ، وهذا قليل فيما وصل الينا علمه .. ولا بد أنه قد ضاع جله ، وغاب عنا جيده ، كما يدل على ذلك فحوى هذه الحكاية ، وأنه كبير الحجم ، وصـل الى درجة العناية والجمع ،وافراده بكتاب مستقل ، يحافظ عليه طالبوه ، ويعتني به المهتمـون .

أما الآخرون فينظرون الى اسفافه وسطحيته ، في أشعاره الهازلة ، وعبـاراته غير الجادة ، وكلماته الهابطة ، ومعانيه المتدنية .. وهذا كثير عنده حسبما دون من أشعاره ، فيحكمون من هذا الجانب ، وينظرون من هذه الزاوية .

ولا أستبعد مع هذا أن جيد شعره قد سطا عليه شعراء عصره ، هبة أو استعداء ، ذلك أنك لا تعدم وجود شعر رصين في معانيه وأخيلته ، جيد في سبكه وعباراته ، بعيد عن الهزل والاسفاف ، والنقمة على المجتمع .. تلك الخصال التي أصبحت سمة مميزة له ، لأن أكثر ما وصلنا من أشعاره كلها من هذا الأسلوب .

وعلى العموم ، فان الكتاب في العصر الحاضر قد أنصفوه وأعلو قدره : —

— فغوستاف يرى أنه : من الواضح بأن أبا الشمقمق كان شاعرا عظيم الموهبة ، جنى عليه الاخفاق المتصل ، وقد كان عدد من أبياته سخيفا ، الا أن ابن المعتز من ناحية أخرى لم يكن مخطئا حـين وقع على نكهة خاصـة في شعره ، ومن العسـير أن يبزه شاعـر من شعراء عصره في تصـوير ذلك الاحساس الذي عبر عنـه في بعض قصائده (٢) .

— والدكتور شـوقي ضيف يرى أن أشعاره تسودها روح شـعبية قوية ، حتى في المديح ، فاننا نجده لا يعني فيه بالجزالة والرصانة ، التي كانت تشيع حينئذ في شعر المديح ، وأيضا فانه لا يعني بمعانيه وأخيلته ، وكأنه ينظمه عفو الخاطر ، غير متأن ولا متكلف ، واذا كان مديحه يسقط عن مديح نظرائه ، فان أهاجيه لا تقل عن أهاجيهم

---

(١) انظر الحيوان ١ : ٦١ .

وأنظر المحاسن والمساويء للبيهقي ١ : ١٧ .

(٢) شعراء عباسيون ص ١٢٥ .

اقذاعا ، بل لعل شاعرا معاصرا لم يبلغ من اقذاعه ما بلغه ، اذ ملأ اهاجيه بالفحش والألفاظ البذيئة (١) .

ومع هذا ، فلا ينكر أي دارس ما لأبي الشمقمق من جودة في : —

١ — الشعر القصصي ، والتوسع فيه ، على ألسنة الحيوانات .

٢ — وتصوير حالة الطبقة الكادحة في فقرها وعوزها ، وهو في تمثيله على نفسه واحد من أبناء هذه الطبقة .. اذ هو شاعر اجتماعي يعبر عن أحاسيس مجتمعه وآلامه .. ولا يجيد وصف الحالة الا من يعيشها . ويصح أن نسميه : شاعر الفقراء ، المصور لآلامهم ، والمعبر عن آمالهم .

ومع هذه الطرافة ، واشاعة المفاكهة ، فان هذا لم يعد عليه بالخير المعيشي ، ويبدو أن اخفاقه في الوصول لهدفه ، أوقف نموه الفكري ، وأثر على موهبته الفنية .

من أشعاره : —

يختلف الشعراء في اهتماماتهم الشعرية ، ورغباتهم في طرق أغراضه المختلفة .. حسب الأحاسيس الموجودة في نفوسهم ، والمؤثرات المحيطة بهم ..

واذا كان الشعر من الشعور كما يقول النقاد الأوائل ، وأن الحاجة هي التي تفتق الحيلة ..

فان أبا الشمقمق فاضت نفسه بأحاسيس الفقر ، وجاشت عواطفه بعوامل البؤس والشقاء والعوز والحاجة ، فكان شاعر الطبقة الفقيرة ، التي تحس الفقر ، وتعاين أفعاله ..

واذا كان ابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ هـ) قد تألم من دقة وصف ابن المعتز (٢٤٧ — ٢٦٦ هـ) في الآذريون ، وهو زهر أصفر في وسطه خمل أسود ، في قوله : —

كان أذريونها غب سماء هاميه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه (٢)

فصاح واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ذاك انما يصف ما عون بيته ،

---

(١) انظر العصر العباسي الأول ص ٤٣٧ .

(٢) الغالية : المسك الاسود الفاخر .

لأنه ابن خليفة ، أما أنا أي شيء أصف ، ولكن أنظر الى في صانع الرقاق « الخباز » ، لأنه تحت نظرى : —

ما أنس لا أنس خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة مثل اللمح للبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة ... في لجة الماء يلقى فيه بالحجر (١)

فان أبا الشمقمق قد طرق موضوعه وأجاد ، وأكثر فيه ، وأثرى حصيلة من يطلب هذا النوع ..

فهو يتكلم عن تجربة ، وأدق الشعر ما جاء عن تجربة ، ويتحدث بعفوية ، فلا يضيع العمر في تصيد الكلمات ، وشارد العبارات .. كما أن هذا العطاء ينبىء عن معاناة عاشها الشاعر ، وتجربة مرت به .

ونستطيع أن نقول بأن شعر أبي الشمقمق يدور حول موضوع واحد ، هو حالة الفقر والحرمان ، وانشغاله بتصيد لقمة العيش له ولعياله ، بعد أن جنى عليه الزمن ، وابتعد عنه الحظ ، ولازمه سوء الطالع ..

فهو ان وصف فانما يصف حالة الطبقة الفقيرة في مجتمعه ، المتمثلة في بيته الخالي من جميع مقومات الحياة ، والمهجور حتى من أبسط الحيوانات والحشرات ، وأقلها طمعا في قوت ..

واذا مدح فانما يستجدى عطاء ، ويستدر رحمة .. ومع عنفه وتسرعه في النتيجة ، يسلط لسانه البذىء ، وعباراته الفاحشة ، في هجاء مقذع ، وسباب مسعور ، ليأخذ من أقرانه الشعراء جزءا من صلاتهم بالقوة والتعنت .. فيستحلب الدر ، ويستمطر الحجر .. ويعيش على فتاتهم ، ويتلذذ بما ناله منهم بالجبروت ، مهما كلفه ذلك من خوض في الأعراض ، ومستهجن في القول .

واذا سخر واستظرف ، فانما هو نوع من الرقة ، وأسلوب من أساليب الاستعطاف ، يريد بهما تليين العرائك ، وترقيق القلوب ، على حالته التي وصل اليها ، ووضعه الذي يعيش فيه ، وأمنياته المعيشية التي أبسط ما يقال عنها بأنها أدنى درجات المعيشة .. وأقل ما يرنو اليه راغب في الابقاء على حياته ، فهو يقرن الشكوى لله بالتطلع الى ما تجود به أيدي البشر في مثل قوله : —

---

(١) راجع تاريخ الادب العربي للزيات ٢٦٤ .

فالى الله أشتكي والى الفضل (ه) فقد أصبحت بزاتي دجاجا (١)

واذا تشاءم فانما هو نوع من سوء الطالع الذي وقع فيه ، ويعزو اليه الواقع الأليم الذي يعيشه ، لكنه لا ينسى أن يبالغ في هذا التشاؤم ، ليجعل الأمور تتحول عن مجرياتها ، لا لشيء الا لأن أبا الشمقمق هو المقترن بهذه المسببات ، ولو كانت لديه ركيزة عقائدية قوية ، وخلفية دينية ترده الى صوابه ، لما انساق في هذا المنحدر وأطلق للتبرم زمامه ..

لكنه وقد ترك للنفس رغباتها ، ورمى الحبل على الغارب ، سار في درب واحد ، وحام حوله في كل أغراضه التي طرقها .. وأغلب الظن عندي أنه أول من توسع في هذا الباب ..

ولذا اعتبر كل من جاء بعده أو عاصره متأثرا به فيه .. حتى المدن ، والتوجد اليها ، وهي من الجماد ، نالها من دخان ناره ، وشظايا لهبه ، كتعبير عن مرئياته حيال أهلها ، الذين رماهم بثقله ، وحملهم وزر ما آلت اليه حاله ، وجناية الدهر ..

وكان الأولى به أن يعترف بأن الله جلت قدرته مسبب الأسباب ، ومقسم الأرزاق ، وأن عليه أن يسعى في طلب معيشته ، ويكدح لتحصيلها . غير متبرم ولا ساخط .

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الغرض الرئيسي الذي طرقه واحد .. منه تفرعت أغراض تدور في فلكه وهي : المديح ، الهجاء ، الوصف ، التظرف ، المجون . أما بقية الأغراض الأخرى فلم يقع بصري على شيء منها يستحق الذكر .

أولا — شعره في المديح : —

للشعراء في مديحهم منهجان : —

مديح دافعه المحبة والاحترام ، وهذا المديح من أجل الممدوح ، والوفاء له من المادح .

ومديح هدفه المصلحة الذاتية والمنافع الشخصية ، وهذا النوع من أجل المادح نفسه ، وما يتحصل عليه من جوائز وهبات .. فهو يفكر في ذاته قبل غيره ، وفي مردود عمله على نفسه ، دون أثره في نفوس الآخرين .

وما بين أيدينا من مدائح لأبي الشمقمق ، تعتبر من الضرب الثاني ، ذلك أنه لا يفكر

---

(١) انظر العقد الفريد ٧ : ٢٠٨ ، وص ٢٢ من هذا الكتاب .

الا بنفسه ، وبما يتحصل عليه من عطاء عاجل ، فان أبطأ هذا النائل انقلب مديحه هجاء ، ومحبته بغضا .

ولذا نراه في هذا النوع لا يتفاعل مع الشعر ، فيتعمق في معانيه وأخيلته ، ولا يطول نفسه فيأتي بالجيد المدروس كقصائد أبي تمام (١٨٨ — ٢٣١ هـ) ، والبحتري (٢٠٦ — ٢٨٤ هـ) ، ومعاصريه : مروان بن أبي حفصه (١٠٥ — ١٨٢ هـ) ، وسلم الخاسر (... — ١٨٦ هـ) .

ومن هنا فانه يعتبر من طبقة أدنى من طبقة هؤلاء في هذا المجال .

أ — قال يمدح مالك بن علي الخزاعي ، ويذم سعيد بن سلم الباهلي : —

قد مررنا بمالك فوجدناه ((م))	**جوادا الى المكارم ينمى (١)**
ما يبالي أتاه ضيف مخيف	**أم أتته يأجوج من خلف ردم**
فانتهينا الى سعيد بن سلم	**فاذا ضيفه من الجوع يرمى**
واذا خبزه عليه سيكفيكهم ((م))	**الله ، ما بدا ضوء نجم**
واذا خاتم النبي سليمان ((م))	**بن داود قد علاه بختم**
فارتحلنا من عند هذا بحمد	**وارتحلنا من عند هذا بذم (٢)**

ب — وقال أيضا في نفس الموضوع : —

قال لي الناس زر سعيد بن سلم	**قلت للناس لا أزور سعيدا (٣)**
وأميرى فتى خزاعة بالبصرة ((م))	**قد عمها سماحا وجودا**
ولنعم الفتى سعيد ولكن	**مالك أكرم البريه عودا (٤)**

---

(١) رواية غوستاف عن القالي في أماليه ٢ : ٢٢٧ ((فوجدناه كريما)) ، انظر : شعراء عباسيين ص ١٥٠ .

(٢) أنظر رغبة الامل ٦ : ١١١ ، وفي الحاشية ترجمة لمالك الخزاعي وقال عنه بأنه قائد من أشراف عصره ولاه الرشيد طريق خراسان ، ومات عام ٢٢٢ هـ . من أثر صربه في رأسه في معركة مع الشراة .

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي ، اكتسب منزلة عظيمة عند الهادي العباسي بعد وفاة أخيه ابراهيم بن سلم ، استعمله الرشيد عام ١٧٢ هـ . على الموصل ، وعام ١٨٣ هـ . هزم على يد الخزر بعد أن قتل المنجم السلمي ، وفي عام ١٩١ هـ . كان على رأس مرعش تجاه الروم في الصائفة بقيادة هرثمه بن أعين ، وثبت في هذه المعركة .. فهو من قواد الرشيد المشهورين .

راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ : ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ .

وزهر الآداب للحصري ٢ : ٩٥٠ ، ١٠١٨ لتصيد أخباره الأدبية .

(٤) رغبة الامل ٦ : ١١٢ .

جـ ـ ومن نماذجه التي يقارن فيها المديح بالهجاء ، والعطاء بالرد ، والايجاب بالسلب ، هذه الأبيات التي حذفت منها بيتين تعمدا لما فيهما من اسفاف وتبذل ، لأنني أوضحت في موضع آخر رغبتي في الاعراض عن ايراد مثل هذه الكلمات ، التي لا تمثل أدبا في سموه ، كما أنه لا عمق في ألفاظها ، ولا طرافة في مدلولها .

بل هي نقطة سوداء في جبين الأدب العربي ، أدخلها الشعوبيون ذوو النزعات المختلفة ، والأهواء المتباينة ، ضد المجتمعات الاسلامية والعربية ، فخلخلت التوازن ، وبثت اللا مبالاة في جنبات هذا المجتمع ، ثم جاء المحللون المحدثون لأنواع الأدب ليعطوها اسما جديدا هي : الأدب المكشوف .. تقليدا لهذا النوع في آداب الأمم الأخرى .

يقول أبو الشمقمق ، كما نقل الجاحظ في الحيوان في هجاء حارثة بن الأصم ومديح آخر : ـ

أهل جود ونائل ومنال	**غلبوا الناس بالندى والعطية**
جئته زائرا فأدنى مكاني	**وتلقى بمرحب وتحية**
لا كمثل الأصم حارثه اللؤم ((م))	**شبيه الكلبة القلطية**
جئته زائرا فأعرض عني	... ...
... ...	... ...(1)

د ـ وقال يمدح يزيد بن مزيد الشيباني ، ويفضله على يزيد بن حاتم المهلبي (2) :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى	**اذا عد في الناس المكارم والمجد(3)**
يزيد بني شيبان أكرم منهما	**وان غضبت قيس بن عيلان والأزد**
فتى لم تلده من رعين قبيلة	**ولا لخم تنميه ، ولم تنمه نهد**
ولكن نمته الفر من آل وائل	**وبرة تنميه ومن بعدها هند (4)**

(1) 1 : 263 وفيه تجد الأبيات المسقطة لمن يريدها .

(2) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني من قواد الرشيد في قتال الخوارج ، شجاع ، توفى عام 185 هـ .
ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفره ، كان من ولاة المنصور على مصر وافريقيا ، وتوفى بالقيروان عام 170 هـ .

(3) عارض أبو الشمقمق بهذا البيت ربيعة الرقى في مدحه ليزيد بن حاتم بقوله : ـ

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد سليم والأغر ابن حاتم

(4) الأغاني 16 : 195 والبيت الثالث عند غوستاف ص 123 نقلا عن الخزانة 3 : 55 ((تيميه ولم ينمه)) بالياء لا بالتاء .

والقصائد السالفة تبرز نوعا من المديح سلكه أبو الشمقمق ، فهو يمدح ويهجو في آن واحد ، ولعل هذا اللون مما يعجب الممدوح اذا كان بينه وبين الآخر منافسة ..

هـ ـ وقال يخاطب محمد بن عبد السلام حين افتقر ، وقد سبق أن أوردنا القصة في ثنايا هذا الكتاب :

الجود أفلسهم وأذهب مالهم ... فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

الجود أفلسهم وغير حالهم ... واليوم ان سئلوا النوال تمحلوا(١)

و ـ وقال يمدح عيسى بن ادريس : ـ

وليس على باب ابن ادريس حاجب ... وليس على باب ابن ادريس من قفل

طربت الى معروفه فطلبته ... كما طربت زنج الحجاز الى الطبل(٢)

ز ـ وعندما خرج مع خالد بن يزيد بن مزيد (٣) ، حين ولاه المأمون الموصل ، فلما كان وقت دخوله البلد اندق اللواء ، فتطير خالد لذلك واغتم غما شديدا ، فقال أبو الشمقمق ليسري عنه : ـ

ما كان مندق اللواء لطيره ... تخشى ولا سوء يكون معجلا

لكن هذا العود أضعف متنه ... صفر الولاية فاستقل الموصلا (٤)

ح ـ ولعل أجود ما رأيت من مديحه قوله يمدح يزيد بن مزيد : ـ

رحل المطي اليك طلاب الندى ... ورحلت نحوك ناقة نعليه

اذ لم تكن لي يا يزيد مطية ... فجعلتها لي في السفار مطية

---

(١) راجع ص ١٧ من هذا الكتاب والمستطرف ١ : ١٥٣ .

(٢) أوردها غوستاف ص ١٤٤ نقلا عن الثمار ٤٣٥ .

(٣) خالد بن يزيد بن زائدة الشيباني أحد الأمراء والقواد العباسيين ، مدحه أبو تمام ، ولاه المأمون مصر ، وولاه الموصل ، ثم زاده ديار ربيعه ، كما يبين من هذه القصة ، توفى عام ٢٣٠ هـ .

(٤) طبقات ابن المعتز ١٢٩ .

العمدة لابن رشيق ١ : ٦٨ .

ومحاضرات الادباء للراغب ١ : ١٤٧ ، وأورد البيت الاول كما يلي :

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ، ولا أمر يكون مبدلا

وانظر غوستاف في : شعراء عباسيين ص ١٤٧ .

تحـــدو أمام اليعمـــلات وتفتلى	في السير تترك خلفها المهـريه
من كل طاوية الحشى مـــزورة	قطعـــــا لكل تنـــوفه دويه
تنتاب أكبر وائل في بيتهــــا	حســـبا وقبـــة مجدها مبنية
آعنى يزيدا ســـيف آل محمد	فراج كل شـــديدة مخشـــيه
يوماه يوم للمـــواهب والجـدا	خضل ويوم دم وخطف منيـــه
ولقـــد أتيتك واثقـــا بك عالما	أن لست تســمع مدحة بنسيه (١)

كما تناقل الرواة في كتب الأدب بأنه مدح مروان بن أبي حفصه الشاعر فقال له : يا مروان أنت شاعر وأنا شاعر ، وغايتنا كلنا السؤال (٢) .

ولم يقع نظري على هذا المديح ، وانما الذي وجدته هو هجاء لابن حفصه .

ثانيا ــ الهجـــاء : ــ

لئن كان الغالب في شعر أبي الشمقمق الهجاء ، واطالة اللسان بالكلام البذيء ، فانما يدل هذا على سلاطة لسانه ، وتدني عنصر الخير في نفسه ، وضعف النزعـــة الدينيـــة لديه .. فهو ينظر الى الناس بمنظار الحقد والكراهية ، ويفترض فيهم عدم حب الخير ، ويعزو اليهم مصائب حياته ..

وهجاء أبي الشمقمق على ضربين : هجاء فكه ومستظرف ، وهجاء مقذع وسخيف لما فيه من عبارات جارحة ، وألفاظ متدنية ، وسوقية ظاهرة .. كما يوجد بين هذين النوعين نوع ثالث معتدل هاديء فيه اتزان ووقار .. أما السخيف البذيء فانني سأشيح الطرف عنه ، ويكفي أن أشير الى مصادره لمن يطلبه (٣) .

أ ــ ومن هجائه الهازل المستظرف قوله : ــ

رأيت الخـــبز عـــز لديك حتى	حسبت الخبز في جـــو السحاب

---

(١) انظر غوستاف في شعراء عباسيين ١٥٢ ــ ١٥٣ نقلا عن ابن خلكان ٢ : ٢٨٦ .

(٢) انظر العقد الفريد ٢ : ٢١٧ .

(٣) راجع قطعة ١٨ ص ١٣٧ من كتاب شعراء عباسيين لغوستاف ، والقطعة ٥٠ ص ١٥١ في هجاء معبد .
والأغاني ١٩ : ٢٣١ ، ٢٤٠ في هجائه لمسلم الخاسر .
والحيوان للجاحظ ١ : ٢٦٣ ــ ٢٦٤ ، ٢ : ٣٦٠ وقوله في الديك ، ٤ : ٤١٠ شعره في المجون .
والعمدة ١ : ٧٠ وهجائه لبشار السالف ذكره .

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مزئه الذباب (١)

— وقوله في هجاء سعيد بن سلم : —

هيهات تضرب في حديد بارد ... ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها ... وأتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره ... لأبى وقال تيمن بصعيد (٢)

وقوله في هجاء داود بن بكر ، وكان ولي الأهواز وفارس : —

وله لحية تيس ... وله منقار نسر

وله نكهة ليث ... خالطت نكهة صقر (٣)

— وقوله في هجاء بعض من ابتلى به : —

أسمج الناس جميعا كلهم ... كذباب ساقط في مرقه (٤)

وقد مر بنا هجاؤه لحارثة بن الأصم ، وفيها بيتان مستهجنان ضربنا عنهما صفحا (٥) .

كما سبق وأن ألمنا بهجائه لمروان بن أبي حفصة (٦) .

— وقوله في هجاء شخص مجهول : —

الطريق الطريق جاءكم الأحمق ... رأس الانتان والقذرة

وابن عم الحمار في صورة الفيل((م)) ... وخال الجاموس والبقره

يمشي رويدا يريد حلقتكم ... كمشي خنزيرة الى عذره (٧)

---

(١) أنظر الفكاهة في الادب ص ٢٢ وقد اقتطعها الدكتور الحوفي من القصيدة التي سنوردها ص ٤٧ . وعيون الاخبار ٤ : ٣٦ ، ٩ : ٢٤٧ .

(٢) أنظر رغبة الامل ٦ : ١١٢ — ١١٣ . وغوستاف رقم ١٠ ص ١٣٤ وقد أكثر من هجاء سعيد .

(٣) أنظر رغبة الامل ٦ : ١٧٦ . وغوستاف قطعة رقم ١٠ ص ١٣٥ .

(٤) أنظر الحيوان للجاحظ ٣ : ٣٨٥ .

(٥) أنظر ص ٣٩ من هذا الكتاب ، والحيوان للجاحظ ١ : ٢٦٣ .

(٦) راجع ص ٢٦ من هذا الكتاب .

(٧) أنظر الحيوان ١ : ٢٣٩ .

ب ـ ومن هجائه المعتدل الهادىء قوله : ـ

الصـــدق في أفواههم علقـــم　　والافك مثل العســـل المـاذي
وكلهم في بخـــله صـــادق　　وفي النـــدى ليس بأســـتاذ (١)

ـ وقوله يخاطب عمرو بن مساور الكاتب ، في هجاء هادىء ينم عن استعطاف وأمل : ـ

أنا بالأهـــواز جار لعمـــر　　لعظيم زعمـــوا ضخم الخطـــر
لا يرى منـــه علينـــا أثر　　لا يكون الجـــود الا بأثـــر
ان تكن ورقك عنـــا عجـــزت　　يا أبا حفص فجـــد لي بحجـــر
يكسر الجـــوز به صبياننـــا　　واذا ما حضر اللـــوز كسر (٢)

ـ وقوله في الهجاء ، وقد اعتبره ابن المعتز من المستحسن من أشعاره : ـ

ما كنت أحســـب أن الخـــبز فاكهـــة
حتى نـــزلت عـــلى أوفى ابن منصـــور
يبس اليـــدين فيمـــا يســـطيع بســـطهما
كأن كفيـــه شـــدا بالمســـامير
عهـــدي به آنفـــا في مـــربط لهـــم
يكسكس الـــروث عن نقـــر العصـــافير (٣)

ـ وقـــوله : ـ

أنتـــم خشـــار خشـــار　　وليس خـــز كخيش
تزوجـــوا في قـــريش　　ان كنتـــم من قـــريش (٤)

---

(١) محاضرات الادباء ١ : ٣٢٠ .
وانظر غوستاف في كتابه شعراء عباسيين القطعة ١١ ص ١٣٤ .
(٢) شعراء عباسيون لغوستاف القطعة رقم ١٣ ص ١٣٥ .
(٣) الطبقـــات ١٢٩ .
وشعراء عباسيون ص ١٣٦ ، والبيت الأول لم يرد في الطبقات .
(٤) شعراء عباسيون لغوستاف القطعة ٢٧ ص ١٤١ نقلا عن المعجم .

— وقد وصفه ابن المعتز بأنه خبيث الهجاء ، عندما أورد بيتين في هجـــائه لابن البختكان هما : —

ومحتجب والنـــــــاس لا يعـــــــرفونه

وقـــد مات هـــزلا من ورا البـــاب حاجبـــه

اذا قيـــل من ذا مقبـــلا : قيل لاحـــد

وان قيل من ذا خلفـــه قيـــل كاتبـــه (١)

— وقوله يخاطب المزق الحضرمي : —

كنت المـــزق مـــرة فاليـــوم قد صرت المـــزق

لمـــا جـريت مع الضـــلال (م) غرقت في بحـــر الشمقمق (٢)

— وقوله في شاعر يدعى يوسف : —

يوســف الشـــاعر فـــرخ وجـــــدوه بالأبـــــلة

حلقي قـــــــد تلقى كامنـــا في جـــوف جـــله

خيطـــوها خشـــية الكلب (م) عليـــــه بمســـــله (٣)

— وجميل بن محفوظ واحد من الزنادقة الذين ذكرهم الجاحظ في الحيوان .. قد كان بينه وبين أبي الشمقمق منافرة ، جعلته يهجوه مرارا ، فمما قاله فيه : —

أراد اللـــه أن يخزي جميـــلا فسلطني عليـــه بأرجان (٤)

وقال فيه : —

وهـــذا جميل عـــلى بغـــله وقد كان يعـــدو على رجـــله

يروح ويغـــدو كأير الحمـــار ويرجع صـــفرا الى أهـــله

وقـــد زعمـــوا أنه كافـــر وأن الـــتزندق من شـــكله

---

(١) اللاحد : من يدفن الاموات ومن يعمل اللحد : وهو القبر . راجع الطبقات ص ١٢٨ .

(٢) تاج العـــروس ٦ : ٤٠٠ .

وشعراء عباسيون لفوستاف القطعة ٣١ ص ١٤٣ ، وص من هذا الكتاب .

(٣) الحيـــوان ١ : ٢٢٥ .

(٤) شعراء عباسيون لفوستاف ص ١٥٠ نقلا عن ياقوت ١ : ١٩٤ الذي نسبه لمحمد بن السري .

كأني به قـــد دعاه الامـــام وآذن ربـــك في قتـــله (١)

— وقوله في الهجاء : —

لمـــا سألتـــك شـــيئا أبـــدلت رشـــدا بغي
ممن تعلمت هـــــذا أن لا تجـــود بشي
أما مـــررت بعبـــد لعبـــد حاتـــم طي (٢)

— ومن هجائه في جميل بن محفوظ ، حيث يتشوق لترك بغداد وهجرانها والذهاب لكورة الأهواز ، لما فيها من متعة النفس وملذاتها ، قوله في هذه القصيدة التي تجمع أكثر من غرض الى جانب الغزل والتمني : —

ما أراني الا سأترك بغـداد ((م)) وأهـــوى لكـورة الأهـــواز
حيث لا تنكر المعازف واللهو ((م)) وشـــرب الفتى من التقمـــاز
وجـوار كأنهن نجـوم الليل ((م)) زهـــر مثل الظباء الجـــوازي
واضـحات الخـــدود أم وبيض فاتنـــات ميل من الأعجـــاز
بين عـــوادة وأخـرى بصنج في بساتينهـــا وفي الأحـــواز
ذاك خير من التردد في بغداد ((م)) تتنزى بي البغـــال النوازي (٣)
كل يـــوم في كمـــة وقميص ورداء من الغبـــار طـــرازي
لم يحكه النســـاج يوما لبيع لا ولا يشـــترى من الـــبزاز
أخـــذت أهلهـــا الشياطـــين بالركض ((م))
لطـــول الشـــقاء والأعـــواز
كل شيخ تخـــاله حين يبـــدو فوق برذونه كشخص حجـــازي
وجميـــل الفســـيل أعني به محفـــوظ ((م))
عـــدو النـــدى وســـلم المخـــازي

---

(١) الحيوان للجاحظ ٤ : ٤٥٤ وقد عد الجاحظ من هؤلاء الزنادقة حوالي ١٣ كلهم يعتبرون من الشعراء والكتاب في العصر العباسي الاول ، راجع الحيوان ص ٤ : ٤٤٧ .
(٢) شعراء عباسيون القطعة ٥٣ ص ١٥٢ نقلا عن المستطرف ١ : ١٥٢ .
(٣) راجع شعراء عباسيين لغوستاف القطعة رقم ٤ ص ١٥٦ نقلا عن البغال ١٢٩ .
(٤) أورد غوستاف هذا الشعر « تنزوبي البغال ... » .

الفت ... ... حتى ما تشكى للطعن بالعكاز (١)
يأخذ الأسود الذي يفرق الحواء (م)
منه كد ستج المنخاز
ليث غاب بدبره حين يلقى وجبان في الحرب يوم البزاز
بعدت داره فلا رده الله (م) ولا زال نائي الدار سازي
ذاك شخص به علي هوان كهوان الحصى على الخباز (٢)

ثالثا ــ التظرف : ــ

انتشر في العصر العباسي أدب التظرف والمزاح ، واهتم بذلك أفراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ، لما فيه من استجمام ونشاط ، فقد قال النويري (٦٧٧ ــ ٧٣٢ هـ) بأن باب النوادر والفكاهات والملح ، مما تنجذب النفوس اليه ، وتشتمل الخواطر عليه ، فان فيه راحة للنفوس اذا تعبت وكلت ، ونشاطا للخواطر اذا سئمت وملت ، لأن النفس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح الى تنقل الأحوال (٣) .

ولهذا عرف أناس في هذا العصر بمرحهم ، وكثرة هزلهم ، كما توفر كتاب دونوا هذا الأدب في أوسع أبوابه ، واهتموا به في مؤلفاتهم ، وأفردوه بالدراسة والحصر ، وكثر الراغبون فيه ، والمهتمون بجمعه ، كالجاحظ (١٦٣ ــ ٢٥٥ هـ) ، وابن قتيبة (٢١٢ ــ ٢٧٦ هـ) ، والتوحيدي (... ــ ٤١٤ هـ) ، والنويري (٦٧٧ ــ ٧٣٢ هـ) ، وابن عبد ربه (٢٤٦ ــ ٣٢٨ هـ) ، والراغب الأصفهاني (... ــ ٥٠٢ هـ) ، وأبي الفرج الأصبهاني (٢٨٤ ــ ٣٥٦ هـ) ، وغيرهم من أعلام الأدب العربي ، بل أصبح جمع هذا اللون سمة ملازمة لأدباء هذا العصر ، وخصلة ثابتة مع مسمى الأدب ، اذ يندر أن تجد مؤلفا لم يتطرق لهذا النوع بين مقل ومكثر ، وليس هذا قاصر على أدباء المشرق وحدهم ، بل تعداهم الى المغرب والأندلس .

وشاعرنا أبو الشمقمق ، واحد من الظرفاء الذين وجد هؤلاء الكتاب في انتاجهم مادة خصبة يثرون بها المكتبة العربية ، وفي مواقفهم المضحكة ، ما يخففون به أعباء كثيرة ينوء بها كاهل الفرد في ذلك المجتمع ، لترتاح نفسه ، ويصفو ذهنه .

وان أكثر أقوال الشاعر ملاحة ، وتصرفات المتظرف رواجا ، وقبولا في النفس ،

---

(١) مكان النقاط كلام مستهجن تعمدت اسقاطه .
(٢) انظر نهاية الارب ٤ : ١ .

تلك التي تحكي حالته الخاصة ، من فقر أو مأساة ، أو تشاؤم وسخرية ، أو موقف هزلي يصوره في رسم « كاريكاتيري » معبر ، وعبارات « درماتيكية » متحركة ..

أما ما يحمل نوعا من الهزء بالآخرين ، أو مساسا بصفاتهم الخلقية ، أو الخلقية ، فهذا ــ في نظري ــ مما لا ترتاح اليه النفوس ، ولا تميل اليه الطباع ، رغم ما يحمله من عبارات متظرفة ، ومعان مضحكة .

وأبو الشمقمق فيما يبدو من أشعاره الهازئة ، يميل للنوع الأول ، فيكثر فيه ، ويركن الى الثاني ، لكن نفسه فيه قصير ، وحصيلته التي وصلت الينا منه قليلة .

وباب التظرف عند أبي الشمقمق هو المنفذ الواسع الذي أدخله الشهرة ، وأبقى ذكراه فى كتب الأدب .

أ ــ فهو يقول في وصف حالته ، وواقعه المعاشي ، ومستواه المادي ، في أسلوب مرح ، وصورة معبرة ، يختمها بتسلية النفس ، وترويضها على المتاعب : ــ

برزت من المنـــازل والقبـاب	**فلم يعسر على أحـــد حجـابي**
فمنزلي الفضـــاء وسقف بيتي	**سـماء اللــــه أو قطع السحاب**
فأنت اذا أردت دخلت بيــــتي	**عـــلي مسلما من غــير باب**
لأني لـــم أجـــد مصراع باب	**يكون من السـحاب الى التراب**
ولا خفت الا باق عــلى عبيــدي	**ولا خفت الهلاك عـــلى دوابي**
ولا حاسبت يوما قهـــــرماني	**محاسبة فأغلظ في الحســـاب**
وفي ذا راحـــة وفـــراغ بال	**فدأب الدهـــر ذا أبدا ودابي (١)**

★ ★ ★

وابطـــك قابض الأرواح يرمي	**بسهم الموت من تحت الثيـــاب**
شرابك في السراب اذا عطشــنا	**وخبزك عنـــد منقطع الـتراب**

---

(١) انظر العقد الفريد ٢ : ٣١٥ ، ٧ : ٢٠٧ .
وانظر الفكاهة في الأدب ٣٦٢ ــ ٣٦٣ .
وشعراء عباسيين لغوستاف قطعة ٢ ص ١٣١ .

رأيت الخـــبز عز لديك حـــتى حسبت الخبز في جـــو السحاب

وما روحتنـــا لتـــذب عنـــا ولكن خفت مـــزئة الـــذباب (١)

ب ــ ولقد ذكر صاحب العقد الفريد ، وصفا لحالة أبي الشمقمق ، وتبرمه بما آلت اليه شؤونه المعيشية ، وما وصل اليه من بؤس (٢) ، ثم أورد من شعره الأبيات التالية التي تنبيء عن تبرمه ، وتشف عن واقع حاله ، ومكنونات نفسه : ــ

أنا في حال تعالى اللـــــه (م) ربي أي حـــــــــــال

ولقـــــد أهـــــزلت حتى محت الشـــمس خيـــــالي

من رأى شـــــيئا محـــالا فأنا عـــــين المحـــــال

ليس لي شيء اذا قيـــــل (م) لمـــــن ذا قلـــــت ذا لي

ولقـــــد أفلســـــت حتى حـــــل أكلي لعيـــــالي

في حـــــرأم النـــاس طرا من نســـــاء ورجـــــال

لو أرى في النـــاس حـــرا لـــم تكن في ذا المثـــال (٣)

جـ ــ وفي أسلوب ساخـــر يقول عن رحـــله ، ولعل هـــذا مما حمل ابن عبد ربه أن يعده من الصعاليك : ــ

أتراني أرى من الدهـــــر يـــوما لي فيـــــه مطيـــــة غير رجلي

كلمـــــا كنت في جميـــــع فقالوا قربوا للـــــرحيل قـــــربت نعلي

حيثمـــــا كنت لا أخلف رحـــــلا من رآني فقـــد رآني ورحلي (٤)

ــ وشبيه بهذه السخرية عن رحله ، نرى ابن المعتز ينقل له هذه الأبيات ، بعد أن أفرده وأخباره بجزء من كتابه : ــ

---

(١) أنظر طبقات ابن المعتز ١٢٩ . وقد اعتبر غوستاف هذه الابيات تكملة للسابقة في هجـــاء جعفر بن أبي زهير لبخله .

(٢) راجع ص ٤٠ من هـــذا الكتاب .

(٣) أنظر العقد الفريد ٢ : ٣١٤ ، ٧ : ٢٠٧ .

وانظر غوستاف في شعراء عباسيين قطعة ٣٨ ص ١٤٦ وقد غاير في ترتيب الابيات وروى البيت قبل الأخير « في حريم الناس طرا » .

(٤) العقد الفريد ٢ : ٣١٤ ، ٧ : ٢٠٧ .

الحمـــد للـــه شـــكرا أمشي ويـــركب غـــيري
قـــد كنت آمـــل طـــرفا فصـــــرت أرضى بعـــير
ليت الأيـــــــور دواب فكنت أركـــب أيـــــري
لـــم ترض نفسي بهـــذا يا رب منـــك لخـــير (١)

— وفي سريره يقول : —

لو قد رأيت سريري كنت ترحمني والله يعلم ما لي فيـــه تلبيس
واللـــه يعلم ما لي فيه شايكـــة الا الحصيرة والأطمار والديس (٢)

د — وفي آلام الفراق ، والتوجد على الديار ، لا يغرب عنه ما جبلت عليه نفسه من هزء وسخرية ، ومفاكهة وتندر ، حينما يقول : —

أنا بالأهـــواز محـــزون ((م)) وبالبصـــــــرة داري
في بني ســـعد وســـعد حيث أهـــلي وقـــــراري
صـــرت كالخفـــاش لا أبصر ((م)) في ضـــوء النهـــار (٣)

— ولعل من هذا النوع سخريته من بغداد وساكنيها ، وهجائه لمن يقطنهـــا من قريش ، مما يشم منه نحلته السياسية ، وسبب بعـــده عن أبوابهم مادحا ومستجديا ، في مثل قوله :

ليس فيهـــا مـــروة لشريف غير هـــذا القنـــاع بالطيلسان
وبقينـــا في عصـــبة من قريش يشتهون المـــديح بالمجـــان (٤)

هـ — وما أطرف وأظرف أن يصور الشاعر حالته ، وما وصلت اليه ، في أســـلوب معبر وعبارات صادقة ، يربط ذلك بمعان مرحة ، وصـــورة فكهة ، لواقع يعيشه ، وحالة تكابدها نفسه .

وذلك في نظر الآخرين لا يعدو أن يكون تسلية تزيل السأم ، وتجـــدد

---

(١) الطبقـــات ١٢٨ .

(٢) العقد الفريد ٢ : ٣١٤ ، ٧ : ٢٠٧ وقد نقل غوستاف قطعة ٢٦ ص ١٤١ البيت الثاني « شائبة » بدل شابكه والريس بدل الديس ، ولعل هذا من طبعة العقد الفريد التي رجع اليها .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣ : ٥٣٦ .

(٤) شعراء عباسيين لغوستاف . القطعة ٤٨ ص ١٥٠ — ١٥١ واعتبره من هجاء بغداد .

صفاء الذهن ، لكنها بالنسبة للشاعر آلام مكبوتة ، وتوجعات حرى ، يتضح مثل ذلك ، في مثل قول أبي الشمقمق في الفأر والسنور ، في قصة شعرية ، هي نوع جديد من الأغراض الشعرية التي اتحف بهـــا أمثال ابي الشمقمق الأدب العربي ، ووسعوا بها مداركه ، وخيال ابنائه : —

ولقـــد قلت حين أقفـــر بيتي	من جـراب الدقيق والفخـــاره
ولقــد كان آهــلا غير قفـر	مخصـــبا خيره كثير العمــارة
فأرى الفـــأر قد تجنبن بيتي	عائذات منـــه بدار الامارة (١)
ودعا بالرحيـــل ذبان بيـــتي	بين مقصوصـــة الى طيـــارة
وأقام الســنور في البيت حولا	ما يرى في جــوانب البيت فاره
ينفض الرأس منه من شدة الجوع	(م) وعيش فيـــه أذى ومرارة
قلت لما رأيتـــه ناكس الـرأس	(م) كئيبا في الجوف منه حـرارة
ويك صبرا فأنت من خـيرة سنور	(م) رأته عينـــاي قط بحـارة
قال : لا صبر لي ، وكيف مقـامي	ببيوت قفر كجـوف الحمـــاره
قلت سر راشـــدا الى بيت جار	مخصب رحله عظيم التجـارة (٢)
واذا العنكبوت تغـــزل في دفي	(م) وحبي والكـــوز والقرقارة
وأصاب الحجـــام كلبي فأضحى	بين كلب وكلبـــة عيـارة (٣)

و — وفي باب وصف حالته ، ووضع عياله ، ومبالغته في تصوير هـــذه الحالة ، بشكل مجسم ، واظهاره بصورة تستوجب العطف ، وتستدر الرحمة قوله : —

ما جمع النـــاس لدنيـــاهم	أنفـــع في البيت من الخـــبز
والخـــبز باللحـم اذا نلتـــه	فأنت في أمن من الـــترز (٤)
والقلز من بعـــد عـــلى أثره	فانمـــا اللذات في القـلز (٥)

---

(١) رواية غوستاف قد تحنبن بالحاء ص ١٣٨ .

(٢) رواية غوســـتاف الى بيت خان .

(٣) الحيوان للجاحظ ٥ : ٢٦٤ — ٢٦٦ .

(٤) الترز : الموت ، والترز : الجــوع .

(٥) القلز : ضرب من الشراب ، والقلز : النشاط والوثوب .

وقـــد دنا الفطـر وصبياننــا | ليســـوا بذي تمـــر ولا أرز
وذاك أن الدهـــر عاداهـــم | عـــداوة الشـــاهين للـــوز
كانت لهـــم عنز فأودى بهـــا | وأجـــدبوا من لبن العـــنز
فلو رأوا خـــبزا عـلى شاهق | لأسرعـــوا للخبز بالجمــــز (١)
ولو أطاقـــوا القفـــز ما فاتهم | وكيف للجـــائع بالقفـــز (٢)

ز ـــ وقد استحسن له ابن المعتز هذه الأبيات التي يستعدى فيها على الفقر ، أحـد الهاشميين ويمدحه ، طارقا أسلوبا جديدا عند بعض شعراء العصر العباسي ، يستدرون به عطف الممدوح بأنهم راوه في المنام ، ووعدهـــم بالعطـــاء ، حينما قال : ـــ

عاد الشـــمقمق في الخســـاره | وصـــــــبا وحن الى زراره
من بعـــد ما قيـل ارعـــوى | وصـــحا لأبـــواب الشـــطاره
من قهـــوة مســـــكية | واللـــون مثـــل الجلنـــاره
تـــدع الحلـــيم بـــلا نهى | حـــيران ليس بـــه احاره
ولربمــــا غـــنى بهـــا | يا جـــارتنا ما كنت جـــاره
يا أيهـــا الملـــك الـــذي | جمـــع الجـــلالة والوقارة (٣)
ورث المـــكارم صالحـــا | والجـــود منـــه والعمـــاره
اني رأيتـــك في المنـــام | «م» وعـــدتني منـــك الزيارة
ففـــدوت نحـــوك قاصـدا | وعليـك تصـــديق العبـــاره
اني أتـــأتي بالنـــــدى | والجـــود منك الى البشـــاره
ان العيـــــال تركتهـــم | بالعصر خبزهـــم العصـــاره (٤)
وشرابهـــم بـــول الحمـــار | «م» مزاجـــه بـــول الحماره

---

(١) الجمـــز : العدو السريع .

(٢) طبقات ابن المعتز ١٢٧ ـــ ١٢٨ .

وشعراء عباسيين ص ١٤٠ حيث سماها غوستاف سؤال الخبز لأطفاله .

(٣) من هذا البيت تستدل أن هذا الهاشمي أحد خلفاء بني العباس ، وأن أبا الشمقمق وصل الى أعتابهـم لكنهم لم ينيلوه فاصبح غاضبا حاقدا .

(٤) العصارة من معانيها ما بقى من التفل بعد العصر .

ضـــجوا فقلت تصـــــبروا فالنجـــح يقـــرن بالصـــباره
حـــتى أزور الهـــــاشمي (م) أخـــو الغضـــارة والنضاره
ولقـــــد غـــدوت وليس لي الا مديحــــك من تجـــاره (١)

ح — وفي مقالته عن الفأر وابن عرس ، وما عمـــلا في بيته ، ترى أسلوبا قصصيا طالما طرقه ، وسخرية مرحة طالما أطلقها على نفسه وعياله ، وخيالا خصبا لم يسخره فيما يثمر ، أو يعود على الأدب بالجهود الطيبة (٢) حينما يقول : —

نـــزل الفـــــأر ببيـــتي رفقـــــة من رفقـــــه
حلقـــــا بعـــــد قطـــــار نزلـــوا بالبيت صفقـــــه
ابن عـــرس رأس بيـــتي صاعــــدا في رأس نبقــــه
ســـيفه ســـيف حـــديد شـــقة من ضـــلع ســـلقه
جاءنا يطـــــرق بالليـــــل (م) فـــدق البـــاب دقـــه
دخـــل البيت جهـــــارا لم يدع في البيت فلقـــــه (٣)
وتـــــــترس برغيـــــف وصـــفق نازويه صـــفقه (٤)
صـــفقة أبصـــرت منهـــا في ســـواد العـــين زرقه
زرقـــة مثـــل ابن عـــرس أغبش تعـــلوه بلقـــه (٥)

— ويرتفع خياله الى أن يتصور سنوره رجلا عاقلا ، تربطه به صـــلة المودة ، والعشرة ، فيتحدث اليه في شأن فقره ، وأنه لا مقام له بمثل هـــذا البيت المقفر ، بعد أن أنهكه الجوع ، وهدت كيانه الفاقة ..

لكن أبا الشمقمق يستسلم معه ، ويودعه في ذهابه ، بعد قناعتـــه بالأسباب ، ويرجوه العودة بعد تحسن الأحوال ..

---

(١) الطبقـــات ١٢٧ .
(٢) شبيه بهذا القطعة التي أوردناها ص ٣٣ — ٣٤ من هذا الكتاب حول الفار وبحثه عن أكل في بيته حيث لم يجد سوى رجله .. وعورته .. ولما لم يجدوا شيئا لطموا الهزة حتى رعفت .
(٣) الفلقه بالكسر : الكسرة من الخبز .
(٤) تترس : جعله كالترس ، نازويه — كما قال الجاحظ — : مصغر بازو على طريقة أهل البصرة ، ونازو هو القط بالفارسية .
(٥) الغبشه : هو لون الرماد ، والبلقه : سواد في بياض . أنظر الحيوان ٥ : ٢٦٧ — ٢٦٨ .

يسرد ذلك في أسلوب قصصي يمتاز بالحوار الهادف الذي لا يتقنه الا من لديه مقدرة شعرية ، وثروة لغوية : ـــ

ولقد قلت حـــين أجحرني البرد	«م» كما تجحـــر الكلاب ثعاله (١)
في مبيت من الغضـــارة قفـــر	ليس فيـــه الا النوى والنخاله (٢)
عطلته الجرذان من قلة الخـــير	«م» وطار الـــذباب نحو زباله
هاربات منـــه الى كل خصـــب	حين لم يرتجين منـــه بلاله (٣)
وأقام الســـنور فيـــه بشر	يسأل الله ذا العلا والجـــلالة
أن يرى فارة ، فلم ير شـــيئا	ناكسا رأســـه لطول المـــلالة
قلت لمـــا رأيته ناكس الـــرأس	«م» كئيبا يمشي عـــلى شر حاله
قلت صـــبرا ناز رأس السنانير	«م» وعللته بحســـن مقاله (٤)
قال : لا صبر لي ، وكيف مقامي	في قفـــار كمثل بيـــد تباله (٥)
قد أراني أنفض الرأس جـــوعا	ثم أمشي في البيت مشي خياله (٦)
قلت : سر راشدا فخار لك اللـــه	«م» ولا تعـــد كربج البقاله (٧)
فاذا ما ســـمعت انا بخـــير	في نعيم من عيشـــه ومنـــاله
فائتنـــا راشدا ولا تعـــدونا	أن من جاز رحلنا في ضـــلاله (٨)
قال لي : قولة : عليك ســـلام	غير لعب منـــه ولا ببطاله (٩)
ثم ولى كأنه شـــيخ ســـوء	أخـــرجوه من محبس بكفاله (١٠)

---

(١) ثعاله : عـــلم للثعلب .

(٢) الغضارة : الطين الحر .

(٣) البلالة ـــ بالضم ـــ : الندوة .

(٤) ناز : اسم للسنور بالفارسية ، وصحح البيت غوستاف : « ويك صبرا فانت رأس السنانير » .

(٥) بيد : جمع بيداء وهي الفلاة .. وتباله : بلد في جنوب جزيرة العرب في طريق اليمن .

(٦) انفض رأسه : حركه الى أعلا والى أسفل .. أو حركه كالمتعجب والمستنكر .

(٧) كربج : كلمة فارسية وتعني : حانوت البقال . والبقال بائع البقل .

(٨) الرحل : مسكن الرجل وما يصحبه من اثاث .

(٩) البطاله : الهزل واللهو والجهالة .

(١٠) الحيـــوان ٥ : ٢٦٦ ـــ ٢٦٧ .

رابعــا ــ التمني : ــ

يقال في الأمثال : التمني رأس مال المفاليس ، ويبدو أن أبا الشمقمق من هؤلاء المفاليس ، ففي هجائه ومدحه ، وفي تظرفه وسخريته ، يصور حالته المفلسة ، وفقره المدقع ، وبؤس أولاده وجوعهم ، وخلو بيته حتى من الفئران ، وهروب أقرب الناس منه حتى قطته ، التي ودعها بعد أن أعياها الجوع ، لكنه لم ينس تمنيه عودتهـــــا ، ورغبته في زيارتها ، بعد أن تتغير أحواله ، ويتبدل أسلوب عيشه .. وهي أمنية لـــم يقدر لها أن تتحقق ، على حد ما وصلنا من أخباره ..

وفي القصيدة التالية ، التي أوردها غوستاف ، نقلا عن البغال ، لا يقصر أمنيته على شيء واحد ،ولكنهيتمنى كل شيء .. يفكر فيما يراه من حـــوله في المعيشـــــة والمسكن ، في الملبس والملذات ، في المركب والمطعم .. في كل شيء يعن له ويطلق فيه خياله ، لأن هذه الأشياء فقدها فهو يريدها ، فقد حرم في هـــذه الحياة من كل شيء ، حتى الصديق الصادق ، المعين على الخير ، والانسان يتعلق بما حرم ، ويتولع بما منع ، كما يقول الشاعر : ــ

منعت شـيئا فأكثرت الولوع به	**أحب شيء الى الانسان ما منعـا**

فيقـــول : ــ

منـــاي من دنيــاي هاتي التي	**تســـلح بالرزق على غــيري**
الجــردق الحـــاضر مع بضعة	**من ماعز رخص ومن طـــير (١)**
وجـــــرة تهـــدر مــــلآنة	**تحكي قـــراة القس في الدير (٢)**
وجبـــه دكنـــاء فضفاضــــة	**وطيلســـــان حســـن النير (٣)**
وبغـــلة شـــهباء طيـــارة	**تطوي لي البلدان في الســـير**
وقينــــــة حســـناء ممكورة	**يصرعها الشـــوق الى ... ...**
وبدرة ممـــلوءة عســـــجدا	**ما بالذي أذكـــــر من ضـــير**
ومــــنزل في خير ما جـــيرة	**قد عرفوا بالخـــير والمـــير**
وصـــاحب يلزمني دهــــره	**مثــل لزوم الكيس للســـير**

---

(١) الجردق : يبدو أن الشاعر أرادها جمعا لكلمة الجردقة التي قال عنهـــا صاحب القاموس بأنها بالفتح الرغيف معرب (٣ : ٢١٧) .

(٢) قراه : مخففة من قراءة . والقس : هو رجل الدين الثابت في الكنيسة عند النصارى .

(٣) الطيلسان : معربة وهو غطاء الرأس .

مســـاعد يعجبني فهمـــــه مرتفع الهمـــة في الخـــــير

كم من فتى تبصر ذا هيئـــــة أبلد في المجلس من عـــير (١)

وإذا كان الشعر انعكاسا لشخصية الشاعر ، وتوضيحا لمكونات نفسه ، فان حياة أبي الشمقمق يمكن أن يستشفها الدارس من هذه القصيدة ، ويحلل حيـــاته ومجتمعه ، وبيئته ومستواه ، من جنبات هذه الأبيات ، وثنايا هذه الكلمات التي لـــم يخلطهـــا بمبالغة ، أو يداهنها بمدح ، أو ينفث فيها حقـــد الهجاء ، وســـخرية النـــادرة المضحكة .

خامسا ـ الحكمة : ـ

لا تصدر الحكمة الا عن عقل راجح ، واتزان خلق .. وهي ثمرة التجربة وخلاصة ميزان الأمور .. والرشد .

وتنتقض ـ في الغالب ـ مع المجون السافر ، والسخرية السخيفة .. لأنهمـــا على طرفي نقيض مع الحكمة ..

لكن الانسان لا يعدم ساعة تثيب النفس فيها الى رشدها .. وتتعقل في أمورها ، فتزن الأمور بعقل راشد ، وفكر ثاقب ، وتتبصر في مجريات الحياة ، وما يســـير في هذا المجتمع المحيط بها .

وأبو الشمقمق عند ما تطرق الى الحكمة باقتضاب ، لا يعدو أحد أمرين : اما أن يكون قالها في ساعة صفاء ذهني ، ومؤثرات محيطة ..

أو أنه قالها في أخريات حياته بعد ما عركته الأيام وصاولها ، وألانت مراســـه بعد أن خبرها .. فيقول : ـ

صـــلابة الوجه ســـلاح الفتى ورقة الوجـــه من الحـــرفة

من كان صلبا وجهــه محكمـــا فأنت منـــه الدهر في طرفة (٢)

وقال فيالحج مقالة أصبحت سائرة في الناس ، هي حكمة ووعظ ..

وأخالف غوستاف الذي اعتبرها هجاء لبعض من حج : ـ

---

(١) أنظر زيادات غوستاف في شعراء عباسيين القطعة ٣ ص ١٥٥ ، والعير : الحمار .

(٢) أنظر : شعراء عباسيين لغوستاف قطعة ٣٧ ص ١٤٣ نقلا عن ديوان المعاني ١ : ١٩٨ .

اذا حججت بمـــال أصله دنس ... فما حججت ولكن حجت العـــير

لا يقبل اللـــه الا كل طيبـــة ... ما كل من حج بيت الله مبرور (١)

— وقد ندخل هذه الأبيات التهكمية ، عند أبي الشمقمق في باب الحكمة ، حسب المجال الذي ذكرها فيه ، والمناسبة التي يعنيها : —

عجبت لحـــراقة بن الحســين ... كيف تعـــوم ولا تغـــرق

وبحران ، من تحتهـــا واحـــد ... وآخـــر من فوقهـــا مطبق

وأعجب من ذاك عيدانهـــــا ... وقـــد مســـها كيف لا تورق (٢)

— ومن التجوز نعتبر هذا البيت الذي يصف فيه فقر المعلم ، من باب ما يسري مسرى الحكم : —

خبز المعـــلم والبقـــال متفق ... واللون مختلف والطعم والصور (٣)

سادسا — أبيات شوارد : —

ولأبي الشمقمق مفردات من الأبيات ، يبدو أنه قالها وليدة ساعتها ، فيهـــا جانب الظرافة ، مهما كان غرضها ، لم أضعها في أماكنها من الأغراض ، لأنني أعتبرها من الشوارد التي تسنح له ، فيقولها عفوية التفكير .

من ذلك قوله يسخر ممن حوله من المعاصرين موال وعرب : —

ذهب المـــوال فـــلا مـــوال ... (م) وقـــد فجعنا بالعـــرب

الا بقـــــايا أصبحـــــوا ... بالعصـــر من قشر القصـــب

بالقـــول بدوا حاتمـــا ... وللفعـــل ريح في القـــرب (٤)

— ولم يكن شجاعا يتحـــدث عن الفروســـية ، لكنه يهزأ بمـــا جرى بينه وبين البرغوث من معركة : —

---

(١) أنظـــر المستطرف ١ : ١٢ .
وشعراء عباسيين قطعة ١٩ ص ١٣٧ نقلا عن المعجم ٣٩٧ والمستطرف .

(٢) شعراء عباسيين الزيادة قطعة ٥ ص ١٥٦ — ١٥٧ عن المظنون ٢٢٤ ، وغـــرر الخصائص ١٦٧ ، والسمط ١٩٨ ، والبغدادي ٩ : ٣٥٣ .. ومشكوك في نسبتها لأبي الشمقمق .

(٣) شعراء عباسيين ص ١٣٧ القطعة ٢٠ نقلا عن الثمار .

(٤) طبقات ابن المعتز ١٢٩ .

ألا رب برغوث تركت مجـــدلا بأبيض ماضي الشفرتين صقيل (١)

— ومن متفرقاته هذا الهجاء لمجهول : —

يا رازق الكلب والخنزير في سعة والطـير والوحش في بهماء دويه
لو شئت صيرته في حال فاقته حتى تقر بتلك الحـال عينيه (٢)

— ومثل هذا قوله في هذين البيتين ، وقد اعتبرهما الجاحظ تحت باب هجـــاء ضروب من الحيوان : —

ان رياح اللـــؤم من شــحمه لا يطمع الخنزير في ســـلحه
كفـــاه قفــل ضاع مفتاحـــه قد يئس الحـــداد من فتحه (٣)

ولأبي الشمقمق أبيات هازلة ، يريدها سيارة عند الأطفال ليتناقلها أبنـــاء الحواري ، في صفة الفيل (٤) ، أو على لسان دودة تتحدث لأمها (٥) ، وهي من الوزن الخفيف الـــذي يسهل عـــلى الصبيان التغني به في لعبهم ، وترديده في مناسباتهم ، كهجائه لبشار بن برد (٦) .

وهكذا يستمر أبو الشمقمق في مثل هذا الشعر المرح ، المصور لحالته النفسية ، وشظف العيش الذي يكابده ، محاولا بذلك استدرار شفقة الناس عليه ، واعانتـــه على اعالة أولاده ، في أسلوب يميل الى السخرية والدعابـــة ، ويهـــدف من ذلك الى اضحاكهم ، وازالة السأم عنهم ، وشر البلية ما يضحك ، لعل أساريرهم تنجلي عن هبـــة ، ونفوسهم تتفتح عن عطيـــة .. وهـــذا شأن العاطلين عن العمل ، القاعدين عن الكسب ..

ومع فاقته وفقره ، يبحث عن شيء يفتخر به ، وخصلة ترفع قدره ، فلا يجد في محتده ملجأ ، ولا في خصاله مميزات ..

---

(١) محاضرات الادباء ٢ : ٥٦٠ ، شعراء عباسيين قطعة ٣٩ ص ١٤٦ .
(٢) الحيوان للجاحظ ١ : ٢٦٤ ، وشعراء عباسيين ١٥٤ .
(٣) الحيوان للجاحظ : ١ : ٣٥٥ ، وشعراء عباسيين ١٥٤ .
(٤) الحيـــوان للجـــاحظ ٧ : ١٧٥ .
(٥) نفس المصـــــدر .
(٦) أنظر ص ١٤ — ١٥ من هذا البحث .
وبدائع البدائه لابن ظافر ٢٣٢ — ٢٣٣ .
والاغاني ٣ : ١٨٩ .

لكنه لا ينسى سلاطة اللسان ، ومقدرته على الهجاء ، فتكون هي السلاح الذي ينظي ، والمطية التي يركب فيقول : —

واذا تجنن شاعـــــر أو مفحـم   أسعطته بمــــرارة الشيطان (١)

وبعد ، فهذا شعر أبي الشمقمق ، الذي جمع منه غوستاف حوالي مائتين وخمسة وخمسين بيتا (٢٥٥) مع الزيادة ، تبلغ (٦٣) ثلاثة وستون قطعـــة ، كما توجد له مقتطفات أخرى لم يوردها غوستاف ، وهذه الحصيلة تستحق الدراسة المستفيضة ، والتحليل المتكامل ، الذي يكشف للدارس أمورا هامة بالقرينة والدليل ، عن جوانب خفية ، وصفات اجتماعية في حياة هذا الرجل ، وما يحيط به من مسببات ومؤثرات ..

وهذا هو أبو الشمقمق الذي تندر الناس باسمه ، قبل أن يتنـــدروا بشعره ، وعرفوا روحه الهازلة ، قبل أن ينغمسوا في دراسة حالته الاجتماعية .. أو يعجبهم مقاله ، ولم يهتموا بما يدل عليه هذا الشعر من فقر وشقاء ، وبؤس وعناء ..

فقد كان هذا الاسم يشيع المرح في آذان سامعيه ، وتبتهج له أساريرهم ، لمـــا فيه من مدلول ينبيء عن صاحبه وانتاجه .

ويبـــدو أن العصر العبـــاسي قد حرص رجاله على اطـــلاق تسميات تنبيء عن مدلولات ، فكل من يسمع أبا الشمقمق ، وأبا دلامة ، وبشار ، ينصرف ذهنه للظـــرافة الشعرية ، واشاعة الطرفة المسلية ، وتهيئة الجو المرح .

وكل من يطرق سمعه اسم أبي نواس ، وحماد عجرد ، ينصرف للشراب والمجون ، كما أن الوصف ورقة الشعر تقترنان بابن المعتز ، وابن الرومي .

وهكذا ، فان لكل حلة لبوسها ، ولكل ميدان فارسه .

---

(١) الحيوان ٦ : ٢٤٧ .

أهم المصادر والمراجع

١ ــ الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة كوستا تسوماس وشركاه .

٢ ــ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ــ تحقيق عبد الستار فراج ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤م دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م .

٣ ــ البخلاء ــ الجاحظ ــ منشورات مكتبة العرفان بيروت ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م .

٤ ــ بدائع البدائه ــ علي بن ظافر الأزدي ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة عام ١٩٧٠ م .

٥ ــ البيان والتبيين ــ للجاحظ ــ دار الفكر للجميع بيروت عام ١٩٦٨ م .

٦ ــ تاج العروس ، محب الدين الزبيدي ، الطبعة الأولى المطبعة الخيرية بجماليه مصر عام ١٣٠٦ هـ .

٧ ــ تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي طباعة مصر عام ١٣٤٩ هـ .

٨ ــ تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف ــ دار الهلال .

٩ ــ تاريخ الأدب العربي ــ أحمد حسن الزيات ــ الطبعة الحادية عشرة ، مطبعة الرسالة .

١٠ ــ جمع الجواهر ــ ابراهيم الحصري ــ تحقيق علي البجاوي ــ الطبعة الأولى عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م .

١١ ــ الحيوان للجاحظ ــ الطبعة الأولى ــ تحقيق عبد السلام هارون عام ١٣٦٢ هـ ــ ١٩٤٣ م .

١٢ ــ ديوان بشار ــ جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، طباعة تونس ــ الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦ م .

١٣ ــ رغبة الآمل من كتاب الكامل ، سيد علي المرصفي ، الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م . الناشر مكتبة دار البيان : بغداد .

١٤ ــ زهر الآداب ــ لأبي اسحاق ابراهيم الحصري ــ تحقيق البجاوي الطبعة الأولى ــ الحلبي ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م .

١٥ ــ شعراء عباسيون ــ غوستاف فون غرنباوم ، منشورات دار الحياة ــ

بيروت ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين بيروت ونيويورك عام ١٩٥٩ م .

١٦ ــ الشوقيات ــ ديوان احمد شوقي ــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م .

١٧ ــ طبقات الشعراء ــ لابن المعتز ــ تحقيق عبد الستار احمد فراج ــ دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .

١٨ ــ العصر العباسي الأول ــ د. شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الأدب العربي رقم ٣ دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة .

١٩ ــ العقد الفريد ــ لابن عبد ربه ــ تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام ١٣٥٩ هـ ــ ١٩٤٠ م .

٢٠ ــ العمدة فيمحاسن الشعر وآدابه ونقده ــ للحسن بن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ منشورات دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة عام ١٩٧٢ م .

٢١ ــ عيون الأخبار ــ لابن قتيبة ــ مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٤٣ هـ ــ ١٩٢٥ م .

٢٢ ــ الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ــ الدكتور احمد الحوفي ــ مطبعة نهضة مصر عام ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .

٢٣ ــ القاموس المحيط ــ الفيروز أبادي ــ الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية عام ١٣٣٠ هـ .

٢٤ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير ــ دار صادر ــ دار بيروت ــ لبنان عام ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .

٢٥ ــ المحاسن والمساويء ــ ابراهيم البيهقي ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ــ الناشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م .

٢٦ ــ محاضرات الأدباء ، ومحاورات البلغاء والشعراء ــ لأبي القاسم الراغب حسين الأصبهاني ــ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان عام ١٩٦١ م .

٢٧ ــ المستطرف في كل مستظرف ــ لشهاب الدين أحمد الأبشهي ــ الطبعة الأولى عام ١٣٣٠ هـ . المطبعة العامرية المليجية .

٢٨ ــ نهاية الأرب ــ للنويري .

٢٩ ــ وفيات الأعيان ــ ابن خلكان ــ الطبعة الأولى مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر عام ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م .

٣٠ ــ الفهرست لابن النديم / دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

الفهـــــــــارس

أولا ـــ فهرس الأعلام والأماكن

ثانيا ـــ فهـــــرس الأبيـــــات

ثالثا ـــ فهـــــرس الموضوعات

أولا ــ فهرس الأعلام والاماكن : ــ

ثانيــا ــ فهرس الأبيات : ــ

ــ الياء ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
السحاب	٢	الوافر	أبو الشمقمق	١٩ ، ٤١
حجابي	١١	الوافر	أبو الشمقمق	٤٧
بالعرب	٣	مجزوء الكامل	أبو الشمقمق	٥٦

ــ التاء المربوطة ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
حرفةْ	٢	السريع	أبو الشمقمق	٥٥

ــ الجيم ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
أمواجا	٤	الخفيف	أبو الشمقمق	٢٢
دجاجا	١	الخفيف	أبو الشمقمق	٣٦

ــ الدال ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
سعيدا	٣	الخفيف	أبو الشمقمق	٣٨ ، ٤١
المجد	٤	الطويل	أبو الشمقمق	٣٩

ــ الذال ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
الماذي	٢	السريع	أبو الشمقمق	٤٢

ــ الراء ــ

القافية	عدد الأبيات	البحر	القائل	الصــفحة
غيري	٤	السريع	أبو الشمقمق	٤٨
أذفرا	٢	السريع	أبو الشمقمق	١٦
غيري	١١	السريع	أبو الشمقمق	٥٤
للبصر	٣	البسيط	ابن الرومي	٣٥
نسر	٢	مجزوء الرمل	أبو الشمقمق	٤٢
الخطر	٤	الرمل	أبو الشمقمق	٤٣
منصور	٣	البسيط	أبو الشمقمق	٤٣
داري	٣	مجزوء الرمل	أبو الشمقمق	٤٨

ـ الباء ـ

ثالثا ــ فهرس الموضوعات

من مطبوعات نادي الطائف الادبي

	العنوان	المؤلف
١	ـــ سوق عكاظ في التاريخ والأدب	اعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي
٢	ـــ البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣	ـــ لكل مثل قصة	مناحي ضاوي القثامي
٤	ـــ شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم	(محاضرة) حمد الزيد
٥	ـــ مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي
٦	ـــ رحلة العمر	علي حسين الفيفي
٧	ـــ هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟	د. غازي القصيبي
٨	ـــ خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
٩	ـــ فلسفة السلام	هشام ناظر
١٠	ـــ معاناة	محمد المنصور الشقحاء
١١	ـــ المضيفات والمرضات في الشعر العربي المعاصر	عبد الرحمن المعمر
١٢	ـــ ملف نادي الطائف الأدبي الأول	اعداد النادي
١٣	ـــ أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤	ـــ نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادي
١٥	ـــ رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦	ـــ صور من الحياة والمجتمع	علي خضران القرني
١٧	ـــ ذكريات	احمد علي
١٨	ـــ خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩	ـــ حديث في الاعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني
٢٠	ـــ البيوت أولا (محاضرة)	هشام ناظر
٢١	ـــ جوانب صحية في التشريع الاسلامي (محاضرة)	حمدان الدعيج
٢٢	ـــ المحراب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	ـــ كتاب القصة	محمد المنصور الشقحاء (كتاب دوري)

دار الزايدي للطباعة والنشر
الطائف ـ شارع السداد
تلفون ٧٣٢٥٢٢٥ ص.ب (١)
تلكس ٤٥٠٠٧٥ اس . ج